شرح رسالة

((طريقة تعليم الناس الدين))

للإمام

محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي رحمه الله

(١١١٥ - ١٢٠٦هـ)



شرح

د. عبد الرحمن بن علي بن محمد العسكر

دار أطلس الخضراء

للنشر والتوزيع

شرح رسالة
((طريقة تعليم الناس الدين))

للإمام

محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي رحمه الله

(١١١٥ - ١٢٠٦هـ)

ح عبدالرحمن بن علي بن محمد العسكر، ١٤٤٥ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العسكر ، عبد الرحمن بن علي بن محمد

شرح رسالة طريقة تعليم الناس الدين

عبدالرحمن بن علي بن محمد العسكر - ط ١ - الرياض، ١٤٤٢ هـ

٨٦ ص؛ ١٧×٢٤ سم

ردمك: ٤-٠٥-٨٣٠٥-٠٣-٦٠٣-٩٧٨

١- الإسلام - مبادىء عامة أ. العنوان

ديوي ٢١١ ١٠٩٨٣/ ١٤٤٢

رقم الإيداع: ١٠٩٨٣/ ١٤٤٢

ردمك: ٤-٠٥-٨٣٠٥-٠٣-٦٠٣-٩٧٨

الطَّبْعَةُ الأُولَى

(١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م)

دار أطلس الخضراء للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - الرياض

 ٠٠٩٦٦٥٤٤٨٩٦٦٥٤

 daratlas.sa

 @dar-atlas

 dar-atlas@hotmail.com

شرح رسالة

((طريقة تعليم الناس الدين))

للإمام

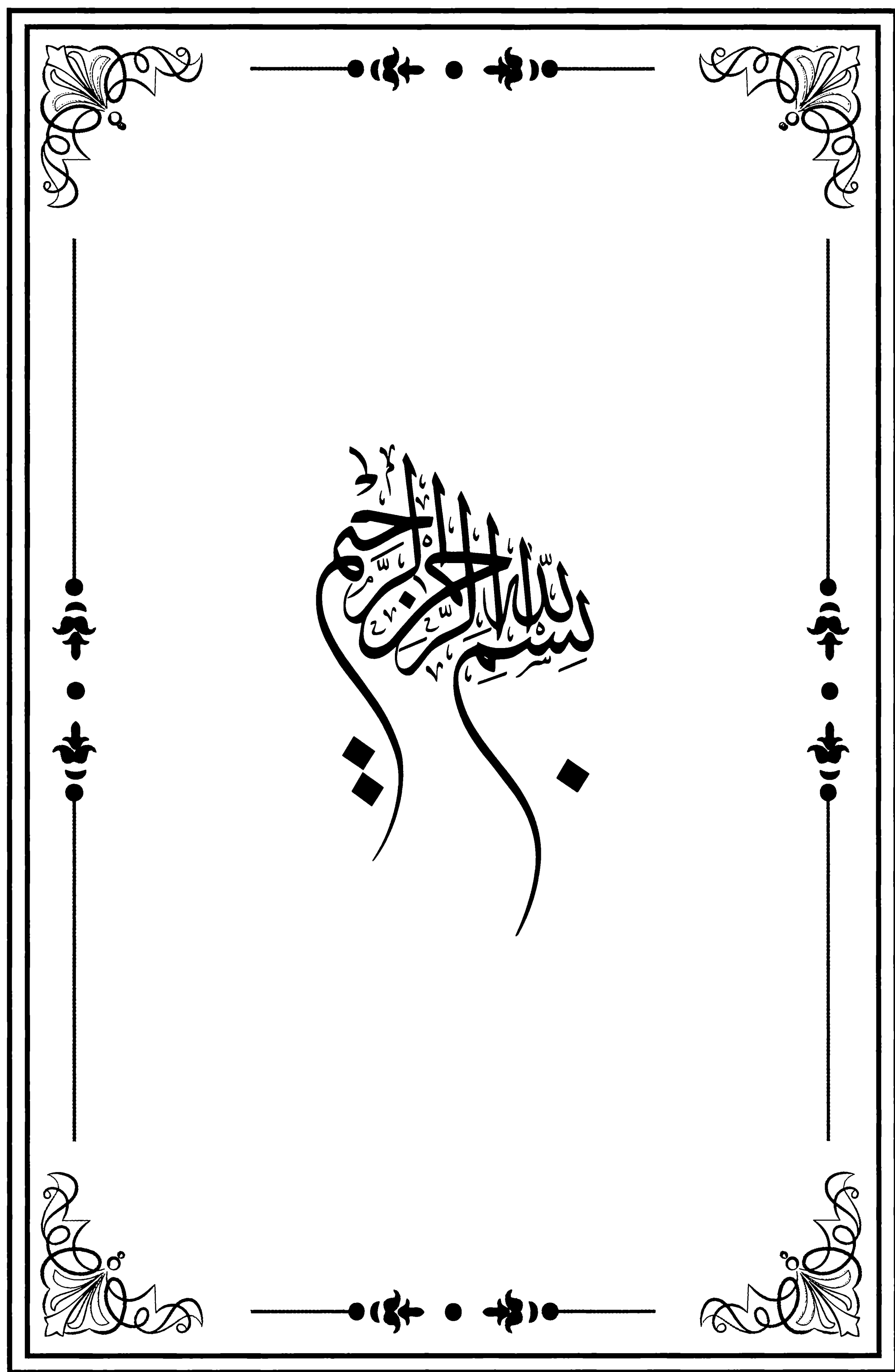
محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي رحمه الله

(١١١٥ - ١٢٠٦هـ)

شرح

د. عبد الرحمن بن علي بن محمد العسكر

دار أطلس الخضراء
للنشر والتوزيع



بسم الله الرحمن الرحيم

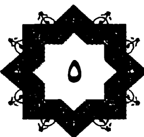
المقدمة...

الحمد لله رب العالمين، وأصلِّي وأسلِّم علىٰ المبعوث رحمةً للعالمين نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فأسأل الله ﷻ أن يتولانا جميعًا برحمته ومغفرته، وأن يدلنا جميعًا علىٰ كل خير وأن يهدينا سواء السبيل.

وإن من رحمة الله ﷻ بعبده المؤمن أن يدله علىٰ طرق الخير، وإن من أعظمها: تعلمه العلم الشرعي النافع الذي يرقىٰ به درجاتٍ في الدنيا والآخرة.

وإذا تعلم العبد العلم الشرعي، فهو أحوج ما يكون لتعلُّمِ طريقة تعليمه غيره من الناس، مع تفاوتهم في الفهم، ولقد رأيت رسالة موجزة للشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب بن سليمان التميمي النجدي في طريقة تعليم الناس أمور الدين وطريق الهدىٰ، اختصر فيها مؤلِّفها كيفية تعليم الناس باختلاف أفهامهم، وماذا يعلَّمون من عِلمٍ، وماذا ينبغي علىٰ المعلم أن يبدأ به.



ولأهميتها رأيت الحاجة مُلحَّةً لشرح ألفاظها وبيان مقاصدها، بعد أن أخرجتها مفردة، مضبوطة بالشكل، ومنسقة للدرس، وليكون هذا الشرح - بعون الله - موصلاً لمراد مؤلفها من تأليفه لها.

وبين يدي شَرحِنَا لهذه الرسالة، ثلاثُ مقدمات:



مؤلف الرسالة...

المقدمة الأولى:

مؤلف هذه الرسالة هو الشيخ: محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي، المولود سنة ألفٍ ومائة وخمس عشرة للهجرة، مَنَّ الله ﷻ عليه بأن دلَّه على الخير وأرشده إلى الطريق الصواب؛ فتعلَّم العلم، ورأى ما فيه واقع الأمة من بُعدٍ عن الله ﷻ وتعلُّقٍ بغيره؛ فبذل نفسه وجهده، وجاهد في سبيل الله، وأيده الله ﷻ بإمامٍ من أئمة الجزيرة العربية، فقامت على يده دعوةٌ إصلاحية، لا يزال الناس يتفيؤون ظلالها، بلغت بلدانًا كثيرة.

دعا الناس إلى العقيدة الصحيحة، والعودة إلى المنهج النبوي، وما كان عليه سلف الأمة، فأظهر الله على يديه دين محمد ﷺ، بعد أن رُسمت آثاره، وانمحت معالمه، وتعلق بعض الناس بغير الله ﷻ في صورٍ كثيرة، ومع ذلك عُودِيَ رحمه الله، وعُودِيَت دعوته؛ لعدة أسباب من بينها: مخالفة المعتقد، ومنها العداء السياسي بين الحكام، وخوفهم



من تمدد الدولة السعودية.

❁ مؤلفات الشيخ:

كان من بركات الله ﷻ علىٰ هذا العالم - زيادةً علىٰ جهاده بيده -، أن مَنَّ الله ﷻ عليه بتآليف عجيبةٍ نافعة؛ فألَّف عدة مؤلفاتٍ كانت هي المُقدَّم علىٰ غيرها عند العلماء، فألَّف كتابه كتاب «التوحيد» الكتاب المعروف، وكان بديعًا في تبويبه واستدلاله وفوائده، وألَّف رسائل عدة، صغيرة وكبيرة، اشتهرت بين الناس، فحفظوها وتدارسوها، في سائر البلدان.

ومن أمثل تلك الرسائل: «ثلاثة الأصول»، و«القواعد الأربع»، و«كشف الشبهات» وغير ذلك.

وكان من دأب الشيخ رحمه الله أنه إذا كتب مؤلَّفًا أن يرسله إلىٰ الناس؛ ولذلك انتشرت نسخ بعض كتبه ورسائله انتشاراً كبيراً، حتىٰ وصلت إلىٰ بلدان بعيدة.

ومن بين تلك الرسائل ما يكون في أصله إجابة علىٰ سؤال أو استفتاء، ورده من بعض الناس، أو من بعض العلماء.

ولذلك تنوعت أهداف ومضامين بعض رسائله، فليست كلها لعامة الناس، بل بعضها يكون موجهاً لطلبة العلم، ومنه هذه الرسالة التي نشرحها.



وبعضها تكون موجهة إلىٰ عالم من العلماء إما مناقشة له، أو كشفًا لشبهة انطوت عليه، أو جوابًا لمشكل، وهكذا.

ولذلك فإن من الجَنف في الحكم ومن الجهل بالشيخ، أن يظن الشخص أن مؤلفات الشيخ محمد مخصصةٌ لصغار طلبة العلم؛ أو للعامة دون الخاصة، أو العكس، فهذا خلاف الصواب، بل مؤلفاته شملت غالب فئات المجتمع - كما أسلفت -.

وهذه الرسالة تمثل نوعًا من أنواع العلم وهو علم التربية وطرائق التعليم.

ولقد يسر الله لمؤلفات الشيخ رحمه الله الانتشار في زمنه، كما انتشرت دعوته، وكتب الله لها القبول.

ولقد عاش الشيخ عمره في الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ حتىٰ توفي عام ألفٍ ومائتين وستة، وقد عمِّر فوق التسعين عامًا، بذل عمره رحمه الله في نشر التوحيد، وانتشرت هذه الدعوة في أرجاء المعمورة.

نسأل الله عز وجل أن يُعظِم له أجره، وأن يكتب له العاقبة في الدنيا والآخرة، وأن يجزيه عنا وعن الإسلام خير الجزاء.



التعريف بالرسالة

المقدمة الثانية: ما هي هذه الرسالة؟

هذه الرسالة لم نجد لها مقدمة، فهي فيما يظهر، إما جواب لأحد الأشخاص، أو إفادة لطلب أحد الطلاب حول الطريقة المناسبة لتعليم الناس.

وهذه الرسالة هي من النوع الذي يمكن اعتباره خاصاً بالعلماء وطلبة العلم، فهي تتحدث عن طريقة تعليم الناس أمور الدين، فهي موجهة للمعلم للناس، كيف يوصل إليهم العلم بالتوحيد؟

فهي على وجازتها تمثل قاعدة في كيفية تعليم الناس، وتقسيمهم حسب فهمهم إلى ثلاث فئات، مع بيان ما يصلح لكل فئة منهم، ولم أجد أحداً نسب للشيخ رحمه الله في هذا الموضوع غير هذه الرسالة[1].

---

(١) وقد أوردها الشيخ عبدالرحمن بن قاسم العاصمي النجدي في كتابه الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١/ ١٧٠-١٧١)، ونقلها عنه عبدالرحمن الرويشد في مؤلفه عن الشيخ محمد بن عبدالوهاب (٢/ ٩٨-٩٩)، ولم يذكر الدكتور أحمد الضبيب في كتابه: آثار الشيخ محمد بن عبدالوهاب (٥٩) غير هذين الموضعين للرسالة.

وأما علاقتي بهذه الرسالة، فقد يسر الله لمحرر هذا الكلام قراءاتها أثناء الطلب علىٰ اثنين من علماء نجد، وهم سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز - برَّد الله قبره وروَّح روحه - فقد حضرت قراءتها عليه يوم الخميس الموافق للسادس من شهر جمادىٰ الأولىٰ عام ١٤١٤هـ، وكان كتاب الدرر السنية من بين الكتب التي تقرأ عليه صباح يوم الخميس.

ثم قرأتها قراءة تعليق علىٰ شيخنا الشيخ عبدالعزيز بن محمد بن زاحم - أسبل الله عليه رحمته وعفوه وجوده - يوم التاسع عشر من شهر ذي الحجة عام ١٤١٥ للهجرة النبوية، وكنت علَّقت عليها في حينه، بأنها رسالة جيدة في بابها ولم يمر علينا مثلها.

ثم رغب القائمون علىٰ قناة المنارة العلمية علىٰ شبكة المعلومات، أن نشرح هذه الرسالة عبر التواصل الفضائي في هذا العام ١٤٤٢هـ، لأن هذه الرسالة وإن كانت موجزة غير أن بعض المواضع محتاج إلىٰ إسهاب في الإيضاح والتبيين حتىٰ لا يخفىٰ، ولذلك عقدنا العزم علىٰ شرحها وإيضاحها ومن الله نستمد العون والتوفيق.

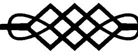
ومن المتقرر عند أهل العلم أن من أهم ما ينبغي تدارسه ومعرفته عند قراءة كتاب أو نقل عن عالم: معرفة سبب تأليفه له، وليس ذلك لقصر مدلوله علىٰ ما يتوافق مع كلام مؤلفه، بل لنعرف من خلال

معرفة سبب تأليفه مدلولَ المؤلف من بعض الألفاظ الواردة فيه، فالألفاظ لها إطلاقات، وبعض الألفاظ حمالُ أوجهٍ.

ومن هنا أُوردَت كثير من الإشكالات علىٰ كلام بعض العلماء، لمَّا حُملَ كلامه ولفظه علىٰ فهم القارئ، دون نظر لسياق المؤلف من كلامه، أو استقراء لكلامه في مواضع أخرىٰ.

وسيرد معنا في هذه الرسالة ألفاظ سنردُّ شرحها إلىٰ ما ذكره المؤلف في كتبه ورسائله الأخرىٰ، أو كتب طلابه، ليتبين بعد ذلك معناها.

وينبني علىٰ هذه المقدمة: المقدمة بعدها:



المخاطب بالرسالة

المقدمة الثالثة: مَنْ المُحتاجُ لهذه الرسالة أو المخاطب بها؟

لم يرد لهذه الرسالة عنوان، وقد رأيت أن أنسب عنوان مجمل لها هو «طريقة تعليم الناس الدين»، وقد يرد عند من يقرأ هذا العنوان بأنها خاصة لمن يخوض غمار التعليم، لكن التعليم والمعلم الواردين في كلام العلماء السابقين ليس هو التعليم المخصوص بوظائف مرتبة في هذا الزمن، فالحياة اليوم اقتضت وظائفها الإدارية التفريق بين الناس في تخصصاتهم، والمعلم منهم قليل.

وبناء علىٰ ذلك أقول: إن من المعلوم للراغب في الخير أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ - كما سبق - قامت علىٰ يده دعوة إصلاحية لا يزال الناس يعيشون أثرها، وقد سلك في سبيل نشر دعوته طريقين اثنين:

الطريق الأول: الدعوة وتعليم الناس.

والطريق الثاني: المقاتلة.

فأما الطريق الثاني فكان له ذلك، عن طريق الإمام محمد بن سعود وأبنائه من بعده، وأما الطريق الأولىٰ وهي دعوة الناس وتعليمهم، فهي غالب شغله ﷺ، وقد أكَّد علىٰ ذلك حفيده الشيخ عبدالرحمن بن حسن ﷺ حيث بيَّن في إحدىٰ رسائله أن التعامل مع المخالف له أحد طريقين، فقال: ومن الدعوة الواجبة، والفريضة اللازمة: جهاد من أبىٰ أن يلتزم التوحيد ويعرفه، من البادية وغيرهم، وأكثر أهل نجد يكفي فيهم المعلم، - يعني فلا يحتاجون إلىٰ ما فوق ذلك -(١).

فنستفيد من كلامه ما يمكن به تحديد مقصود الشيخ محمد بالمعلم الذي وجه له هذه الرسالة التي نشرحها، وأنه: الداعي إلىٰ الله، والداعي إلىٰ التوحيد والسنة، الذي سيتعامل مع المدعوين، إذ أول ما ينبغي لطالب العلم إذا تعلم: أن يدعو إلىٰ الله تعالىٰ.

فبه يتبين شمول هذه الرسالة لكل من يريد التعليم أو الدعوة أو النصح أو التوجيه.

وبتأمل الرسالة يظهر أن الشيخ كتبها لأحد طلابه أو أحد من سيقومون بالدعوة إلىٰ الله، ممن كان يبعثهم الشيخ ﷺ لتعليم الناس أمور الدين.

وقبل أن نشرع في شرح الرسالة نذكرها كاملة كما وردت في المصادر.

---

(١) الدرر (١٤/ ٦٧).

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ:

يَنْبَغِي لِلمُعَلِّمِ: أَنْ يُعَلِّمَ الإِنْسانَ عَلىٰ قَدرِ فَهمِهِ،

فَإِنْ كَانَ مِمنْ يَقرَأُ القُرآنَ، أَوْ عَرَفَ أَنَّهُ ذَكيٌّ، فَيُعلِّمُ أصلَ الدِّينِ، وَأَدلَّتَهُ، وَالشِّركَ وَأَدلَّتَهُ، وَيَقرأُ عَليهِ القُرْآنَ، وَيَجْتَهِدُ أَنَّهُ يَفهمُ القُرآنَ فَهْمَ قَلبٍ.

وَإِنْ كَانَ رَجُلاً مُتَوسِّطًا، ذَكَرَ لَهُ بَعضَ هَذَا.

وَإِنْ كَانَ مِثلَ غَالِبِ النَّاسِ ضَعِيفَ الفَهْمِ، فُيصَرِّحُ لهُ:

بِحَقِّ اللهِ عَلَىٰ العَبِيدِ، مِثلَ مَا ذكرَ النَّبيُّ ﷺ لِمُعاذٍ.

وَيَصفُ لَهُ حُقوقَ الخَلقِ، مِثلَ حَقِّ المُسْلمِ عَلَىٰ المُسْلِمِ، وحَقِّ الأَرحامِ، وَحقِّ الوَالدينِ.

وَأَعْظمُ مِن ذلكَ حقُّ النَّبيِّ ﷺ، وَأَفْرَضُهُ شهَادَتُكَ لَهُ أَنَّهُ رسولُ اللهِ، وأَنَّهُ خَاتمُ النَّبيين.

وَتَعْلَمَ أَنَّكَ لَو تَرْفعُ وَاحِداً منَ الصَّحَابةِ فِي مَنزلةِ النُّبوةِ، صِرتَ كَافِراً.

فَإِذَا فَهِمَ هَذَا فقُلْ: حَقُّ اللهِ عَليكَ أَعْظَمُ وَأَعْظَمُ.

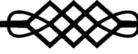
فَإِذَا سَأَلَ عنْ حقِّ اللهِ؛ فَاذْكُرْ لهُ أَنَّكَ تَعْبدُهُ، وَلا تَصِيرَ مِثلَ البَدَويِّ.

وأيضـًا تُخلِصُ لهُ العِبَادةَ، لا تكونُ مِثلَ منْ يَدْعوهُ، وَيدعُوَ غَيرَهُ، أَوْ يَذْبحُ لَهُ وَلِغَيرِهِ، أَوْ يَتوكَّلُ عَليهِ وَعَلىٰ غَيرِهِ، وَكُلُّ العِبَادَاتِ كَذَلكَ.

وَتُعرِّفَهُ أَنَّ مَنْ أَخلَّ بِهَذَا حُرِّمَتْ عَليهِ الجَنَّةُ، وَمَأْوَاهُ النَّارُ؛ وَلَو قَدَّرْنَا أَنَّهُ مَا يُشْرِكُ.

فَإِذَا عَرَفَ التَّوحِيدَ، وَلا عَمِلَ بهِ، وَلا أَحبَّ وَأَبغَضَ فِيهِ، مَا دَخَلَ الجَنَّةَ، وَلَو مَا أَشْركَ، لأَنَّ فَائِدَةَ تَركِ الشِّركِ: تَصْحِيحُ التَّوحِيدِ.

وَمِنْ أَعْظَمِ مَا تُنَبِّهُهُ عَلَيهِ التَّضرعُ عِندَ اللهِ، وَالنَّصِيحَةُ، وَإِحْضَارُ القَلبِ فِي دُعَاءِ الفَاتِحَةِ إِذَا صَلَّىٰ، واللهُ أَعلمُ.



ونشرع - بحول الله وقوته- الآن في شرح هذه الرسالة، فنقول وبالله التوفيق:

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله:

يَنْبَغِي لِلمُعَلِّمِ: أَنْ يُعَلِّمَ الإنْسانَ عَلىٰ قَدرِ فَهمِهِ،

ابتدأ المؤلف رسالته موجهاً كلامه للمعلم، وهو يقصد في ذلك الذي يُعلِّم الناس أمور التوحيد والعقيدة، كما بيناه سابقاً مما ذكره الشيخ عبدالرحمن بن حسن حفيد مؤلف الكتاب بما يفيدنا بمقصود الشيخ من المعلم، فلا نعيده هنا.

والعلم منزلة عالية ومكانة رفيعة، اختص الله العالم بسبب علمه بالمكانة التي لن ينالها إلا بالعلم، فقرن شهادة العلماء علىٰ أعظم مشهود به بشهادة الله وملائكته، ﴿ **شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ** ﴾ (آل عمران:١٨)، وكما قال ابن القيم: استشهد الله عز وجل بأهل العلم علىٰ أجل مشهود به، وهو التوحيد وقرن شهادتهم بشهادته وشهادة ملائكته، وفي ضمن ذلك تعديلهم، فإنه سبحانه وتعالى لا يستشهد بمجروح[١].

وليس المقام مقام بيان مكانة العلم والمعلم، إذ ما نحن فيه هو جزء من العلم والتعلم.

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٤٤١).

معنى كلمة (ينبغي) في كلام العلماء:

قوله (ينبغي): هذه كلمة يختلف مدلولها بحسب قائلها، فهي كلمة وردت في القرآن الكريم، يقول الكفوي في كلياته: (لا ينبغي): أي لا يصح ولا يتسهل ولا يتسخر، ومنه: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ (يس:٦٩)؛ لأن لسانه لا يجري به، أو لا يستقيم عقلاً.

وهو في لغة القرآن والرسول للممتنع شرعـاً وعقلاً.

وقد تستعمل في موضع (لا يجوز)، كذلك لفظ (ينبغي) فإنه قد يستعمل في موضع (يجب) كما في قولهم: (إذا شهدت الأربعة بالزنا بين يدي القاضي ينبغي أن يسألهم عن الزنا ما هو وكيف هو).

وفي عرف الفقهاء يستعمل فيما لم يكن فيه رواية صحيحة.

وفي «المصباح»: قولهم (ينبغي أن يكون كذا) معناه: ينبغي ندباً مؤكداً لا يحسن تركه.

وقال بعضهم: كلمة (ينبغي) تقتضي رجحان أحد الطرفين وجواز الآخر، وقيل في معنىٰ قوله: (ينبغي للمصلي أن يفعل كذا) أي: يُطلب منه ذلك الفعل ويؤمر به، ويقال: ينبغي لك أن تفعل كذا أي: طاوعك وانقاد لك فعل كذا، وهو لازم (بغىٰ) يقال: بغيته فانبغىٰ[1].

وقال ابن القيم: السلف كانوا يستعملون الكراهة في معناها الذي

---

(١) الكليات (٩٦٨).

استعملت فيه في كلام الله ورسوله، ولكن المتأخرون اصطلحوا علىٰ تخصيص الكراهة بما ليس بمحرم، وتركه أرجح من فعله، ثم حمل من حمل منهم كلام الأئمة علىٰ الاصطلاح الحادث، فغلط في ذلك، وأقبح غلطـًا منه من حمل لفظ الكراهة أو لفظ (لا ينبغي) في كلام الله ورسوله علىٰ المعنىٰ الاصطلاحي الحادث، وقد اطرد في كلام الله ورسوله استعمال (لا ينبغي) في المحظور شرعـًا أو قدراً، وفي المستحيل الممتنع كقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَـٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴾ (مريم:٩٢)، - أي يمتنع غاية الامتناع - وقوله: ﴿ وَمَا عَلَّمْنَـٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ﴾ (يس:٦٩)، وقوله: ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ (الشعراء: ٢١٠-٢١١)، وقوله علىٰ لسان نبيه: (كذبني ابن آدم وما ينبغي له، وشتمني ابن آدم وما ينبغي له)، وقوله ﷺ: (إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام) - أي يمتنع عليه النوم -، وقوله ﷺ في لباس الحرير: (لا ينبغي هذا للمتقين)[1]. اهـ.

أما في كلام الفقهاء فاختلف مقصدهم منها - كما ذكر الكفوي -، وهم علىٰ سبيل العموم يقصدون بها الاستحباب المؤكد، وعند النهي: الكراهية المؤكدة.

وعندنا في مذهب الإمام أحمد عقد ابن حامد في كتابه تهذيب

---

(١) أعلام الموقعين (١/ ٣٤-٣٥).

الأجوبة، بابـًا في بيان معنىٰ جواب الإمام أحمد بينبغي أو لا ينبغي وأطال، وقال في آخره: أن الجواب من العالم إذا قال: ينبغي لك أن تفعل: تأكيد لأمر، وإذا قال: لا ينبغي لك: تأكيد للنهي(١).

ولها في كل مذهب ما تحتمله، ومنه ما أشار له الكفوي.

ونخرج من ذلك أن معنىٰ كلمة ينبغي في كلام المؤلف هنا: هو الندب المؤكد للمعلِّم أن يسلك في تعامله مع المدعوين السير علىٰ هذه الطريقة التي سأذكرها.

*** فائدتان لغويتان:**

الأولىٰ: وهي مسألة لغوية مهمة، لماذا قال المؤلف (ينبغي للمعلم) ولم يقل: ينبغي علىٰ المعلم؟

يقول أهل اللغة: تستعمل (ينبغي) في مثل هذا التركيب بمعنىٰ يجب، فيعدُّونها بـ(علىٰ) ولم تستعملها العرب إلا بوجه واحد لم يتعدوه، وهو بمعنىٰ (يجوز) ويصلح ويتيسر، ولم يسمع عنهم إلا وصلها باللام، ففي هذا التركيب يجب أن تكون باللام فتقول: ينبغي لك، كما جاء في الآيات السابقة(٢).

لأن معنىٰ كلمة ينبغي مختلف عن معنىٰ كلمة يجب، وهي لا

(١) تهذيب الأجوبة (٢/ ٥٨١-٥٨٩).

(٢) أغلاط الكتاب (١٠-١١).

تتعدىٰ بـ(علىٰ) ولكن باللام، فلا يقال (ينبغي علىٰ فلان) فالصواب أن يقال كما قال المؤلف هنا: (ينبغي لفلان).

فزيادة (علىٰ) بعد (ينبغي) معدودة فيما يطلق عليه: (أغلاط الكتاب).

الثانية: هل كلمة ينبغي فعل ماض أم مضارع؟

ينبغي فعل مضارع من أفعال المطاوعة، بمعنىٰ: يحسن به ويستحب له، واستعمال الماضي من هذه المادة نادر، فإذا أريد الماضي قيل: كان ينبغي أو ما كان ينبغي، ولذلك اعتبرها كثير من العلماء من الأفعال غير المنصرفة(١).

۞ القاعدة في تعليم الناس (التعليم على قدر الفهم):

قول المؤلف: «أن يُعلِّم الإنسان علىٰ قدر فهمه» هذه قاعدة جامعة ذكرها جمع من العلماء.

فقد أُثرَ عن الشافعي قوله: لو أن محمد بن الحسن كان يكلِّمنا علىٰ قدر عقله ما فهمنا عنه، ولكنه كان يكلمنا علىٰ قدر عقولنا فنفهمه(٢).

وقال الغزالي: وقد قيل: كِلْ لكل عبدٍ بمعيارِ عقله، وزِنْ له بميزان

---

(١) أغلاط الكتاب (١٠-١١).

(٢) الآداب الشرعية (٢/ ١٥٦).

فهمه، حتىٰ تسلم منه وينتفع بك، وإلا وقع الإنكار لتفاوت المعيار[1].

وقال الخطيب البغدادي: ولا ينبغي أن يُملي ما لا تحتمله عقول العوام.

وروىٰ النضر بن شميل قال: سئل الخليل عن مسألة فأبطأ بالجواب فيها قال: فقلت ما في هذه المسألة كل هذا النظر! قال: فرغتُ من المسألة وجوابها، ولكني أريد أن أجيبك جواباً يكون أسرع إلىٰ فهمك[2].

وربما تكلم العلماء علىٰ قدر فهم الحاضرين تأديباً وامتحاناً.

وقد قال الغزالي: إن من وظائف المعلم أن يقتصر بالمتعلم علىٰ قدر فهمه، فلا يلقي إليه ما لا يبلغه عقله فينفره أو يخبط عليه عقله، اقتداء في ذلك بسيد البشر ﷺ، فليَبُثَّ إليه الحقيقة إذا علم أنه يستقل بفهمها، ثم قال: فلا ينبغي أن يفشي العالم كل ما يعلم إلىٰ كل أحد، هذا إذا كان يفهمه المتعلم، ولم يكن أهلاً للانتفاع به فكيف فيما لا يفهمه[3].

وقال ابن الجوزي: من المخاطرات العظيمة تحديث العوام بما لا

---

(١) إحياء علوم الدين (١/ ٥٧).

(٢) الآداب الشرعية (٢/ ١٥٦).

(٣) المرجع السابق.

تحتمله قلوبهم، أو بما قد رسخ في نفوسهم ضده...، إلىٰ أن قال: فالله الله أن تحدث مخلوقاً من العوام بما لا يحتمله دون احتيال وتلطف؛ فإنه لا يزول ما في نفسه، ويخاطر المحدث له بنفسه، فكذلك كل ما يتعلق بالأصول[1].

وإنما اعتبرنا مراعاة فهم المتعلم لا المعلم؛ لأن فهمه له مُكنةٌ لا يستطيع بعدها أن يفهم، ولذلك نقل الجاحظ في البيان والتبين: قال أبو عقيل بن درست: نشاط القائل علىٰ قدر فهم المستمع[2].

ومما يوصف به المتعلم ويتقدم به علىٰ غيره حسن الفهم، فقد أثر عن الخليل بن أحمد قوله: إذا جمع المتعلم ثلاثاً تمت النعمة بها علىٰ المعلم: العقل والأدب وحسن الفهم.

والتفاوت ليس قاصراً علىٰ المتعلم، بل حتىٰ العلماء يتفاوتون في الأفهام، يقول ابن الجوزي: ما أكثر تفاوت الناس في الفهوم! حتىٰ العلماء يتفاوتون التفاوت الكثير في الأصول والفروع[3].

وأقول: بل يتفاوتون في الإفهام، فليس كل عالم يستطيع أن يوصل علمه لغيره، بل هم في ذلك يتفاوتون، فمنهم من يستطيع مخاطبة

---

(١) صيد الخاطر (٤٣٣).

(٢) (٢/ ٢٨).

(٣) (٤٨٧).

صغار الطلاب، ومنهم من لا يستطيع التعامل إلا مع كبار الطلاب، الذين حصلوا أصول العلم وعلوم الآلة، والقليل منهم من يستطيع التعامل مع الجميع، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

وقد ورد معنىٰ هذه القاعدة بلفظ حديث، فقد ورد عند عدد من أهل الروايات: (نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن نخاطب الناس علىٰ قدر عقولهم)، لكن اتفق أهل التخريج علىٰ أنه ضعيف، بل قال بعضهم: ضعيف جداً، وروي بألفاظ متعددة، منها ما قال العراقي في تخريج الإحياء: رويناه في جزء الفسوي بسند ضعيف، ولفظه: (جالسوا الناس علىٰ قدر أحسابهم، وخالطوا الناس علىٰ قدر أديانهم، وأنزلوا الناس علىٰ قدر منازلهم، وداروا الناس بعقولكم).

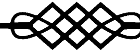
لكن أورد مسلم في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بسند فيه انقطاع أنه قال: (ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة)، ولا يصح مرفوعاً، وجاء عند البخاري عن علي رضي الله عنه موقوفاً: (حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله).

۞ لماذا أورد المؤلف هذه القاعدة؟

المؤلف جعل هذه القاعدة مدخلاً لما سيقوله بعد ذلك؛ ليوجد سؤالاً عند المتلقي: كيف أعرف أفهامهم؟ أو: ما طريقة التمييز بينهم في الفهم؟

ولـذلك بـدأ بعـدها في بيـان أن المتلقـي والمـتعلم لا يخلـوان مـن ثلاث حالات[1]، ويختلف تعليم كل شخص بحسب حالته منها.

ولما كانت الحالة الأولىٰ والثانية قليلتين بين الناس، وغالبهم من الحالة الثالثة، اكتفىٰ المؤلف رحمه الله في بيان مجمل ما يُعلَّمون في الأولىٰ والثانية، وفصَّل أفراد المسائل التي يُعلَّمُها الناس إذا كانوا مـن الحالـة الثالثة؛ لأنهم غالب الناس، وهم أكثر من سيواجههم المعلم والـداعي إلىٰ الله تعالىٰ، فاكتفىٰ في الحالـة الأولـىٰ والثانيـة بالإجمـال، وبالثالثـة بالتفصيل.



---

(١) وهي أن يكون قارئـًا للقرآن أو ذكيـًا، والثانية: أن يكون متوسطـًا في هـذين الأمـرين، والثالثة: أن يكون ضعيف الفهم، وسيأتي توضيح الحالات جميعـًا.

الحالة الأولى من حالات تعليم الناس...

الحالة الأولى: عبر عنها بقوله: «فَإِنْ كَانَ مِمنْ يَقرَأُ القُرآنَ، أَوْ عَرَفَ أَنَّهُ ذَكيٌّ، فَيُعلَّمَ أصلَ الدِّينِ، وَأَدلَتَهُ، وَالشِّركَ وَأَدلتَهُ، وَيَقْرأَ عليهِ القُرْآنَ، وَيَجْتَهدَ أَنَّهُ يَفْهمُ القُرآنَ فَهْمَ قَلبٍ».

جعل المؤلف العبرة في المقياس لمعرفة الحالة الأولى أحد صفتين: إما قراءته للقرآن، أو ما آتاه الله من الذكاء.

۞ الصفة الأولى: قراءة القرآن:

أما قراءة القرآن الكريم فهي مرحلة مهمة في قياس معرفة استعداد المتلقي للفهم، فإن كان قد قرأ القرآن علمتَ أنه سيفهم منك ما ستقوله له؛ لأن الله ﷻ أخبر في كتابه منزلة قارئ القرآن فقال: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ (القمر:١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠)، وقال عز من قائل: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ (الإسراء:٩)، بل اعتبر الله من حفظ القرآن عالماً، يقول سبحانه: ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ ﴾ (العنكبوت:٤٩).

ولذلك علَّقت الشريعة بعض الأحكام الشرعية علىٰ مدىٰ قراءة الشخص للقرآن، حتىٰ وإن لم يكن معه علم غيره، ففي الصلاة يقدم قارئ القرآن علىٰ غيره، قال ﷺ: (يؤمكم أقرؤكم) يقول عمرو بن سلمة راوي الحديث: فكنت أقرأهم، لما كنت أحفظ، فقدموني.

وإنما جعل المؤلف قياس الحالة هو قراءة القرآن؛ لأن مظنة وجود شخص في المدعوين قارئ للقرآن ممكنة، فقراءة القرآن مما يتسابق له الناس علىٰ اختلاف مذاهبهم، فإذا كان مَنْ أمامك ليس عنده علم، لكنه ما دام عارفـًا للقرآن أو حافظـًا له، فإن التعامل معه في التعليم ينبغي أن يكون أعلىٰ من غيره، لأن قراءة القرآن رفعته عن منزلة الجاهلين.

*** ثوروا القرآن:**

وقد أثر عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بسند صحيح قال: (من أراد خير الأولين والآخرين فليثَوِّر القرآن فإن فيه خير الأولين والآخرين) وفي لفظ: (من أراد العلم فَلْيُثّوِّرْ القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين)، وفي لفظ: (من أراد علمـًا فليقرأ القرآن فإن فيه خير الأولين والآخرين) رواه أحمد في الزهد وابن أبي شيبة وغيرهم بسند صحيح.

قال شمر: تثوير القرآن قراءته ومفاتشة العلماء به في تفسيره ومعانيه، وقيل: لينقر عنه ويفكر في معانيه وتفسيره وقراءته.

القرآن احتوىٰ علىٰ العلوم كلها، وكل علم من العلـوم فهـو منتزع من القرآن، وإلا فليس له برهان.

القرآن القرآن، بين أيدينا علـم عظـيم لا يستطيع أحـد أن يمنعـك منه، ولا ينازعك فيه، ومع ذلك شتت الدنيا قلوبنا وشتتنا تتبـع العلـوم الدنيوية عن أن ننظر في القرآن، فإن شئت علم التوحيد والعقيدة فانظره في القرآن، إن شئت علم الفروع والمسائل الفقهيـة، فـانظره في القـرآن، إن شئت الأخلاق، إن شئت القصص والعبر، إن شئت وإن شئت... كما قال ابن مسعود: من أراد خير الأولين والآخرين فليثور القرآن.

لذلك جعل الشيخ محمد معرفة المدعو للقرآن صفة مهمة في رقي التعامـل معـه فيمـا يـؤمر بـه وينهـىٰ عنـه؛ لأن عنـده علمـًا استقاه مـن القرآن، فعنده علم الأولين والآخرين، لكنه لـم يفهمه كما ينبغي.

ومع ما ورد في الشريعة من الحث علىٰ تعلم القرآن وتعليمه إلا أنه قـد يوجـد في مجتمعنـا اليـوم مـن يُزهِـد في حفـظ القـرآن، وخاصـة للمبتـدئ، بحجـة أن القـرآن يحتـاج إلـىٰ فهـم، وهـذا كـلام باطـل، لا يلتفت إليـه، فـأول مـا يبتـدئ بـه طالـب العلـم هـو القـرآن، فليحفظـه، وستتيسر له العلوم بعد ذلك، فحفظ القرآن عبادة وقربة إلىٰ الله تعالىٰ، ثم هو مع ذلك علم، والفهم مرحلة أخرىٰ تأتي للطالب شيئـًا فشيئـًا.

وكـم رأينا من الناس مـن نـدموا علىٰ تفريطهم في حفـظ القـرآن في

مبتدأ حياتهم، فلا تكن أيها القارئ أحدَهم، فبادر تعلم القرآن لتعلمه الناس فتدخل في الأجر والخيرية.

۞ الصفة الثانية: أن يكون ذكياً:

وهذه قد تكون أصعب من الصفة الأولىٰ؛ لأن الصفة الأولىٰ مكتسبة بالتعلم، أما هذه فمَلَكَةٌ يرزقها الله من شاء من عباده، والفهم نوع من الذكاء، والعقل هو الفطرة الغريزية الذي يدرك الإنسان به حقائق الأشياء، فالفطنة والكيس فطرة والحمق والبلادة فطرة، وصفاء العقل وذكاء الفهم لا بد منه في أصل الفطرة فإن لم يفطر عليه الإنسان فاكتسابه غير ممكن.

وقد أفاض العلماء الكلام عن الذكاء وماهيته، وكيف يعرف ذكاء الشخص منذ ولادته، وألَّف ابن الجوزي كتاباً سماه (الأذكياء) ذكر فيه أموراً وقصصاً في الذكاء والفطنة، وألَّف كتاباً آخر في (أخبار الحمقىٰ والمغفلين)، فعدل ﵀ بين الفئتين.

والكلام عن الذكاء في أمور:

الأول: منزلة الذكاء بين مراتب العقل:

الذكاء هو أحد مراتب العقل، والمرتبة الأولىٰ هي الفطنة، ويأتي بعدها الذكاء ثم الفهم ثم الذهن، وبعضها متقارب من بعض.

لكن عرَّفوا الذكاء بأنه: سرعة الفهم وحدته، والبلادة جموده.

وقال الزجاج: الذكاء في اللغة تمام الشيء، ومنه الذكاء في الفهم وهو أن يكون فهماً تاماً سريع القبول.

إذا تبين ذلك، فإن أنبياء الله ورسله نالوا من الذكاء أجمعه وأعلاه، ففطنتهم فوق كل فطنة وذكاؤهم فوق كل ذكاء.

وبعدهم صحابة رسول الله ﷺ، وقد دعا النبي ﷺ لبعضهم فأوتي ذكاء وفطنة فاقت غيره.

وبعدهم خيار العلماء من السلف السابقين، ولذلك تجد في تراجمهم التعبير بأنه كان ذكياً نابهاً، ولعل ممن أجمع علىٰ ذكائه شيخ الإسلام ابن تيمية، ومثله مؤلف هذه الرسالة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ﷺ، ففي زمنه كان هناك علماء؛ لكنه فاقهم ذكاء، جمع معها همة، فكان داعية حق للهدىٰ والعلم.

الثاني: كيف نعرف الذكيِّ من غيره؟

وهذه هي أهم مسألة في هذه الرسالة؛ لأنه ينبني عليها الحالات الثلاث التي ذكرها المؤلف ﷺ، وعلامات الذكاء كانوا يعرفونها في السابق تخميناً، بوجود بعض الصفات الخَلْقية أو الخُلقية، من ذلك ما قال ابن الجوزي: يُستدل علىٰ عقل العاقل بسكوته وسكونه، وخفض بصره وحركاته في أماكنها اللائقة بها، ومراقبته للعواقب فلا

تستفزه شهوة عاجلة عقباها ضرر، وتراه ينظر في الفضاء فيتخيَّر الأعلىٰ والأحمد عاقبة، من مطعم ومشرب وملبس وقول وفعل، ويترك ما يخاف ضرره، ويستعد لما يجوز وقوعه[1].

وفي هذا الزمن توسع الناس في اختبارات الذكاء، وجعلوه أنواعًا، وصارت تعقد له اختبارات لا نطيل بالحديث عنها.

الثالث: لماذا نهتم بالذكي؟

لأن الذكي يدعوه ذكاؤه للتفكر، والسؤال، ومن ثم قبول الرأي الآخر ومناقشته، ومعلوم أن من رأىٰ السماء مرفوعة، والأرض موضوعة، وشاهد الأبنية المحكمة، خصوصًا في جسد نفسه؛ علم أنه لا بد للصنعة من صانع، وللمبني من بان، ثم يتأمل صدق الرسول ﷺ إليه، وأكبر الدلائل القرآن، الذي أعجز الخلق أن يأتوا بسورة من مثله.

ولذلك أُثِرَ عن أعرابي - كما ذكر ذلك المقري في نفح الطيب وقبله الرازي في تفسيره وذكره السفيري في شرحه للبخاري -، وقيل إنه من سؤال الجاحظ لأحد الأعراب: بم عرفت ربك قال: البعرة تدل علىٰ البعير، والروث يدل علىٰ الحمير، وآثار الأقدام تدل علىٰ المسير، فسماء ذات أبراج، وبحار ذات أمواج، أما يدل ذلك علىٰ العليم القدير؟.

---

(١) الأذكياء (١٤).

وروىٰ العسكري في الأوائل بسنده، عن مسلم بن مسروق عن عبد الله قال: قدم وفد إياد علىٰ النبي ﷺ فقال: ما فعل قس بن ساعدة؟ قالوا: هلك يا رسول الله، فقال كأني أنظر إليه بسوق عكاظ يخطب الناس علىٰ جمل أحمر، ويقول:

أيها الناس: اسمعوا وعوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت، ليل داج، ونهار ساج، وسماء ذات أبراج، ونجوم تزهر، وبحار تزخر، وجبال مرساة، وأرض مدحاة، وأنهار مجراة، إن في السماء لخبراً، وإن في الأرض لعبراً، ما بال الناس يذهبون فلا يرجعون؟ أرضوا بالمقام فأقاموا؟ أم تركوا فناموا؟ يقسم قسٌّ بالله قسماً لا إثم فيه، إن لله ديناً هو أرضىٰ له وأفضل من دينكم الذي أنتم عليه، إنكم لتأتون من الأمر منكراً ثم أنشأ:

في الذاهبين الأولين * من القرون لنا بصائر
لمَّا رأيت موارداً * للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها * يمضي الأكابر والأصاغر
لا مَنْ مضىٰ يأتي إليك * ولا من الباقين غابر
أيقنت أني لا محالة * حيث صار القوم صائر

وقال النبي ﷺ: (يعرض هذا الكلام يوم القيامة علىٰ قس بن ساعدة فإن كان قاله لله فهو من أهل الجنة).

فالعاقل ومثله الذكي، تسهل عليك مناقشته ومحاججته.

لذلك فإنك تعجب أشد العجب من أن ترىٰ علماء في بعض العلوم الدنيوية قد يكونون الأوائل في فنهم، مع ذلك تجده يعتقد اعتقادات لا يقبلها العقل، فالرقص مما تفعله بعض الطوائف، والغلو في الأشخاص ممن يسمونهم الآيات، وسماع خرافاتهم.

أين عقول الأتباع؟

هل يرضىٰ الله للعبد أن يذل نفسه للبشر؟.

ولقد اطلعت علىٰ أحوال إحدىٰ الطرق والجماعات: لا يدخلون علىٰ مشايخهم إلا وهم يحبون، وبعضهم يتلقف نخامته، وبعضهم يبصق في فيه، وحدثني أحد مشايخنا، أن أحد علماء الهند ممن نال درجة الأستاذية في فنه، وهو ذو مكانة عالية جداً، ومع ذلك إذا تحيزت الشمس للغروب سجد لها.

لكن كما أُثر عن بعض السلف قوله: أوتوا ذكاءً، ولم يؤتوا زكاءً.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀: والقوم وإن كان لهم ذكاء وفطنة، وفيهم زهد وأخلاق، فهذا القول لا يوجب السعادة والنجاة من العذاب إلا بالأصول المتقدمة، وإنما قوة الذكاء بمنزلة قوة البدن والإرادة، فالذي يؤتىٰ فضائل علمية وإرادية بدون هذه الأصول بمنزلة من يؤتىٰ قوة في جسمه وبدنه بدون هذه الأصول. اهـ.

وقال المؤلف رحمه الله في مطلع رسالته في بيان ستة أصول جامعة: من أعجب العجاب، وأكبر الآيات الدالة علىٰ قدرة الملك الغلاب ستة أصول بينها الله تعالىٰ بياناً واضحاً للعوام فوق ما يظن الظانون، ثم بعد هذا غلط فيها كثير من أذكياء العالم، وعقلاء بني آدم، إلا أقل القليل. اهـ.

وموضوع الذكاء موضوع مهم، فالدول الغربية تختار من أبناء المسلمين الذين يدرسون عندها الأذكياء فتهتم بهم، والجماعات الحركية المعاصرة يبحثون عن الأذكياء فيعتنون بهم وهم صغار؛ ليصنعوا منهم قادة، يستفيدون منهم غداً.

لذلك كان من عادة العلماء تَفرُّس النجابة في طلابهم وإعطاؤهم مزيد اهتمام وعناية، فقد يخصونه بدرس معين أو نحو ذلك.

والمعلم الحق والداعية الناجح: من يتفهم مستوىٰ فهم طلابه، ويخاطبهم علىٰ قدر فهمهم وإدراكهم، فيكتفي للحاذق بالإشارة، ويوضح لغيره بالعبارة، ويكرر لمن لا يعلم، ويبدأ بتصوير المسألة ثم يوجهها بالأمثلة، ويقتصر علىٰ ذلك من غير دليل ولا تعليل، فإن سهل عليه الفهم فيذكر التعليل والمأخذ، ويبين الدليل المعتمد ليعتمده، والضعيف لئلا يغتر به، ويبين ما يتعلق بالمسألة من النكت اللطيفة والألغاز الطريفة، والأمثال والأشعار.

❁ محتوى ما يعلمه أصحاب الحالة الأولى:

المقصود هنا: إذا كان من ستعلِّمه وتدعوه توفرت فيه هاتان الخصلتان - قراءة القرآن والذكاء - أو أحدهما فماذا تعلِّمه، هذا ما حدده الشيخ بقوله:

فَيُعلَّمُ أصلَ الدِّينِ، وَأَدلَّتَهُ، وَالشِّركَ وَأَدلَّتَهُ،

هذا أهم ما يُعلَّم: أن يُعلَّمَ أصل الدين بأدلته، والشرك بأدلته؛ لأنه ذكي، ولأنه قد قرأ القرآن، فلا بد من ذكر الدليل علىٰ كل ما ستقوله له؛ ليستشعر معاني ودلالات ما حفظه من القرآن؛ ولينظر في هذه الأدلة وما تدل عليه.

وأصل الدين كله هو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وما تتضمنه كلمة التوحيد من النفي والإثبات، وأدلة ذلك كله.

والبيان هنا لهذا النوع من الناس يكون علىٰ سبيل التفصيل لا علىٰ وجه الإجمال، ثم إن البيان هنا ذكره المؤلف مجملاً؛ لأنه أحالك إلىٰ أصول عامة، وترك اختيار تفاصيل ذلك للمعلم والداعية، بخلاف الحالة الثالثة - كما سيأتي معنا -، حيث حدَّد مفردات ما ينبغي أن يُعلَّمَه الناس.

وقد قال الذهبي في رسالته (زغل العلم): أصول الدين هو اسم

عظيم، وهو منطبق على حفظ الكتاب والسنة، والتدين بما اشتملا عليه، فهما أصول دين الإسلام، ليس إلا، وأما العرف في هذا الاسم فهو مختلف باختلاف النحل.

فأصول دين السلف: الإيمان بالله وكتبه ورسله وملائكته، وصفاته وبالقدر، وبأن القرآن المنزل كلام الله تعالى غير مخلوق، والرضا عن كل الصحابة، إلى غير ذلك من أصول أهل السنة، من الإيمان بالبعث وما يشتمل عليه. اهـ.

ومشياً على قاعدتنا في الشرح - أن نقصد إلى شرح كلام المؤلف من كلامه في مواضع أخرى -، فإن ذكر أصل الدين مع الدليل عليه، وذكر الشرك والدليل عليه هو حال الشيخ رحمه الله في مؤلفاته في الأصول الثلاثة وكتاب التوحيد والقواعد الأربع.

بل عدَّد المؤلف رحمه الله في مواضع من مراسلاته أصول الدين التي تعلَّم للناس، وذكر في بعض مراسلاته أنها ثمانية.

وقد حدد الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله أين يجد الشخص أصول الدين في مؤلفات الشيخ، فقال: وذكر شيخ الإسلام رحمه الله في «كتاب التوحيد» على اختصاره كثيراً من الأدلة المعرِّفة بأصل الدين، كذلك كتاب «كشف الشبهات»، و«أربع القواعد»، و«معنى شهادة أن لا إله إلا الله».

ولما ردَّ رحمه الله، على من أنكر على الشيخ محمد ما وضعه في أصول الدين من المسائل والقواعد، بيَّن المقصود بها، فقد جاء في رده على الفارسي - وهو رد طويل -[1]، ومما ذكر فيه أن مقصوده بأصول الدين: الأصول الثلاثة والقواعد الأربع.

وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن رحمه الله: وأهم ما يُبدأُ به في التعليم، هو معرفة أصول الدين وقواعد الإسلام، التي لا يحصل بدونها، ولا يستقيم بناؤه إلا عليها ولا سيما معرفة ما دلَّت عليه كلمة التوحيد: شهادة أن لا إله إلا الله، من الإيمان بالله ومعرفته وتوحيده، بإخلاص العبادة بأنواعها له سبحانه، والبراءة من كل معبود سواه، والقيام بذلك علماً وعملاً.

فإن هذا هو أصل الدين وقاعدته، وهو الحكمة التي لأجلها خلقت الخليقة، وشرعت الطريقة، وأرسلت لأجلها الرسل، وبها أنزلت الكتب؛ وجميع أحكام الأمر والنهي تدور عليها، وترجع إليها. اهـ.

والمقصود هنا أن مقصد الشيخ بأصول الدين وأدلته والشرك وأدلته: ما فصَّله في مؤلفاته الأخرى: الأصول الثلاثة والقواعد الأربع، وكتاب التوحيد، ونحوها، ومما يؤكد ذلك أن الأمير: عبد العزيز بن

---

(١) الدرر السنية (١١/ ٣٦٥).



محمد بن سعود رحمه الله طلب من الشيخ (المصنف) رحمه الله، أن يكتب رسالة موجزة في أصول الدين؛ فكتب رسالة، وأرسلها عبد العزيز إلىٰ جميع النواحي، وأمر الناس أن يتعلموها، وابتدأ الشيخ محمد الرسالة بقوله: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيد المرسلين، وإمام المتقين، نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، أما بعد: فاعلموا وفقكم الله لمراضيه، وجنبكم طريق معاصيه، أن من الواجب علىٰ كل مسلم ومسلمة: معرفة ثلاثة أصول، والعمل بهن... الخ[1].

وعلىٰ كل حالٍ فأصول الدين يمكن تعلمها أيضاً بتعليم كتب العقائد المختصرة، ككتاب العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، فهو كتاب جامع مهم، اشتمل علىٰ غالب مسائل الاعتقاد، ومن ميزاته التي تهمنا هنا: أنه لم يأت بمسألة إلا مع دليلها من الكتاب أو السنة، ولذلك ينبغي لطالب العلم والداعي إلىٰ الله تعالىٰ العناية به، تعلماً وتعليماً.

ومما يجد فيه طالب العلم بيان أصول الدين بعض الكتب المنتسب أصحابها للمدارس الفقهية: كمقدمة ابن أبي زيد القيرواني المالكي، ومقدمة ابن جزي لرسالته «الضروري من علم الدين»،

---

(١) الدرر (١/ ١٤٦-١٤٧).

والعقيدة الطحاوية للإمام الطحاوي الحنفي رحمهم الله، فقد قال السبكي عن العقيدة الطحاوية: جمهور المذاهب الأربعة على الحق يقرون عقيدة الإمام أبي جعفر الطحاوي التي تلقاها العلماء سلفًا وخلفًا بالقبول[1].

ونحو ذلك من الرسائل.

تعليم القرآن طريق من طرق تعليم الناس:

ثم ذكر رحمه الله أمرًا آخر مما يوصل به العلم إلى هذا النوع من المتلقين فقال:

وَيَقْرأُ عَليهِ القُرْآنَ، وَيَجْتَهدُ أَنَّهُ يَفْهمُ القُرآنَ فَهْمَ قَلبٍ.

سبق أن ذكر المصنف رحمه الله أن من مواصفات هذه الحالة: أن يكون قارئًا للقرآن، فلماذا ركَّز المصنف على ربطه بقراءة القرآن، الظاهر - والله أعلم - أن ذلك لسببين:

السبب الأول: أن القرآن الكريم نزل لثلاثة أمور:

التعبد بتلاوته، وهذه المنزلة موجودة لدى المتعلم في هذه الحالة.

والثاني: فهم معانيه؛ لأن لفظ القرآن لا يكاد يشكل على أحد أو يعسر عليه، بل يقرؤه العالم والمتعلم والعامي، ولكن العبرة بفهمه،

---

(١) معيد النعم (٢٥).

فهو الذي يحتاج إلىٰ تعليم، وهذا ما دعا إليه المؤلف هنا: أن تنتقل معه إلىٰ الأمر الثاني من أسباب نزول القرآن، وهو فهم معانيه فهم قلب، ليقوده إلىٰ:

الأمر الثالث الذي نزل له القرآن: وهو العمل بالقرآن الكريم، وهو المقصد الذي يسعىٰ إليه المعلم والداعي، أن يعمل المتعلم والمتلقي بالقرآن فيحقق التوحيد الخالص لله تعالىٰ، ويتبرأ من الشرك، وهذه المنزلة هي الأشد علىٰ النفوس؛ لأن النفس تحتاج لتحقيق العمل إلىٰ مجاهدة ومصابرة.

قال الله تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ (ص:٢٩)، ولهذا كان الصحابة رضي الله عنهم لا يتجاوزون عشر آيات؛ حتىٰ يتعلموها وما فيها من العلم والعمل، كما قال أبو عبد الرحمن السلمي: لقد حدثنا الذين كانوا يقرؤوننا القرآن، كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما، أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يجاوزوها حتىٰ يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا، رواه ابن سعد والإمام أحمد وغيرهم بسند صحيح.

وقد أقام عبد الله بن عمر - وهو من أصاغر الصحابة - في تعلم البقرة ثماني سنين، وإنما ذلك لأجل الفهم والمعرفة.

السبب الثاني: أن من يعرف شيئًا فهو متشوق لفهم كل ما يتعلق به،وقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀ في القاعدة المراكشية إلىٰ ذلك بقوله: أن العادة المطردة التي جبل الله عليها بني آدم توجب اعتناءهم بالقرآن المنزل عليهم، لفظًا ومعنىٰ؛ بل أن يكون اعتناؤهم بالمعنىٰ أوكد، فإنه قد علم أنه من قرأ كتابًا في الطب أو الحساب أو النحو أو الفقه أو غير ذلك؛ فإنه لا بد أن يكون راغبًا في فهمه وتصور معانيه، فكيف بمن قرءوا كتاب الله تعالىٰ المنزل إليهم، الذي به هداهم الله، وبه عرفهم الحق والباطل، والخير والشر، والهدىٰ والضلال، والرشاد والغي.

فمن المعلوم أن رغبتهم في فهمه وتصور معانيه أعظم الرغبات؛ بل إذا سمع المتعلم من العالم حديثًا فإنه يرغب في فهمه. اهـ.

فلذلك الشيخ محمد هنا جعل علىٰ المعلم أنه ما دام المتعلم قارئًا للقرآن، فإنه سيكون متشوفًا إلىٰ فهمه، فليجتهد في أن يَفهَمه فهم قلب، ليتمم له بذلك قراءته له.

السبب الثالث: التنبيه إلىٰ أمر تربوي مهم في التعليم؛ وهو الاستفادة من الإمكانات المتوفرة لدىٰ المتلقي، فما دام عارفًا للقرآن فهي فرصة أن تتدارس معه ما يعرفه هو قبل أن تتواصل معه، وهو كتاب الله تعالىٰ، لذلك قال المصنف: (ويقرأ عليه القرآن).

وقوله: (ويقرأ عليه القرآن) يحتمل وجهين: إما أن يكون القارئ هو المعلم أو المتعلم، وكلاهما حسن.

وقراءة القرآن على الشيخ أو التناوب في قراءتها كان من هدي النبي ﷺ وهدي صحابته ﭫ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ﭬ في التحفة العراقية: وهذا كان سماع سلف الأمة وأكابر مشايخها وأئمتها كالصحابة والتابعين ومن بعدهم من المشايخ كإبراهيم بن أدهم، والفضيل بن عياض، وأبي سليمان الداراني، ومعروف الكرخي، ويوسف بن أسباط، وحذيفة المرعشي، وأمثال هؤلاء، وكان عمر بن الخطاب يقول لأبي موسى الأشعري: يا أبا موسى ذكِّرنا ربنا، فيقرأ وهم يسمعون ويبكون، وكان أصحاب محمد إذا اجتمعوا أمروا واحداً منهم أن يقرأ القرآن والبقية يستمعون.

وقد ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ مرَّ بأبي موسى الأشعري وهو يقرأ فجعل يستمع لقراءته وقال: لقد أوتي مزماراً من مزامير آل داود، وقال: مررت بك البارحة وأنت تقرأ، فجعلت أستمع لقراءتك، فقال: لو علمت أنك تسمع لحبرته لك تحبيراً، أي لحسنته لك تحسيناً.

وقال: زينوا القرآن بأصواتكم، وقال: لله أشد أَذَنًا إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته، (أَذَنًا) أي استماعًا، كقوله تعالى في سورة الانشقاق: ﴿ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ﴾

(الانشقاق: ٢، ٥) أي استمعت. اهـ.

والمؤلف هنا نبه أيضـاً علىٰ أمر مهم ثالث: وهو أنك قد لا تتوافق أنت ومن تناقشه في القاعدة التي تريد منه التحاكم إليها، فتنتقل إلىٰ طريقة أخرىٰ من طرق الاحتجاج، وهي الاستنباط من الدليل، وهذا ملحظ مهم جداً.

فإنك في هذا الزمن قد يصعب عليك أن تناقش أو تعلِّم شخصاً تبوأ منزلة في الأمور الدنيوية؛ بذكر استنباط العلماء من الدليل، فتذكر له من كلام السلف، كأن تقول: قال شيخ الإسلام ابن تيمية، أو محمد بن عبد الوهاب أو فلان أو فلان، فهو يرىٰ أنهم مثله في العقل والذكاء.

فأمامك المسلك الثاني وهو الاستنباط والمدارسة من كتاب الله تعالىٰ، عن طريق مدارسة آياته وتفهمها، كما قال المؤلف هنا، **(ويجتهد أنه يفهم القرآن فهم قلب)** فبدلاً من آتي بالقاعدة من قواعد أصول الدين؛ فيعترض عليَّ المتعلم أو المجادل، آتي بالآية من كتاب الله التي هو يقرُّ بدلالتها، وهو أيضاً إما حافظ للقرآن أو قارئ له، ونستخرج جميعاً منها ما نقرر به القاعدة التي نريده أن يعتقدها، وهذا مسلك سلكه العلماء.

فبعض آيات كتاب الله قد اشتملت علىٰ أصول التوحيد وقواعده، فمثلاً قول الله تعالىٰ: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (الفاتحة:٥) أَلَّف

فيها ابن القيم كتاباً ضخماً سماه: «مدارج السالكين في منازل إياك نعبد وإياك نستعين».

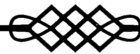
الفاتحة - كما سيأتي - اشتملت على أصول الدين، وآية الكرسي فيها إثبات التوحيد، وإثبات الشفاعة، وإثبات علم الله وقدرته، وإثبات الأسماء والصفات.

وقول الله سبحانه: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾ (النجم:٢٦) هذه الآية جمعت أصول الشفاعة كلها: أنها لا تكون إلا لله، وأنه لا بد من توفر شرطيها.

وهكذا قصص القرآن وما فيها من عظات وتوحيد: فقصة يوسف فيها ارتباط بالله ﷻ في كل مراحلها، وقصة موسى وغيره من أنبياء الله.

وأخيراً فإن ربط المصنف هنا الفهم بالقلب؛ ليؤكد على أمر مهم في مسألة تفهم القرآن وتدبره وهو أن يكون ذلك بقلبه، لا بمجرد لسانه، ومقتضى فهم القلب تطبيقه في حياته، وهو العمل به، الذي أشرنا له سابقاً في أسباب نزول القرآن الكريم، وهو العمل بمقتضاه، فإذا عمل بمقتضاه فقد حقق أصول الدين كلها؛ لأن كل أصول الدين مستقاة من القرآن الكريم.

وبه تكون قد علمت أهل هذه الحالة الأولى.



الحالة الثانية من حالات تعليم الناس...

ثم انتقل المؤلف بعد ذلك إلىٰ الحالة الثانية من حالات تعليم الناس علىٰ قدر أفهامهم، فقال:

وَإِنْ كَانَ رَجُلاً مُتَوسِطـًا، ذَكَرَ لَهُ بَعض هَذَا.

الحالة الثانية: هي المتوسط بين من عنده ذكاء أو يكون قارئـًا للقرآن، وبين غالب الناس، والتوسط نحو: أن يكون ذكاؤه متوسطـًا، أو ذكيـًا في فن معين دون غيره، والتوسط في قراءة القرآن؛ كأن يكون لا هو بالقارئ المتقن، وإنما يحسن قراءته.

فالتعامل معه وطريقة تعليمه: أن يعلِّمه بعض ما سبق ذكره في الحالة الأولىٰ، فمثلاً قد يكتفي مثلاً بثلاثة الأصول عن أن يتوسع له في كتاب التوحيد؛ لأنه قد لا يفهم بعض مسائله، أو يكون يصلح له كتاب التوحيد، أو العقيدة الواسطية، أو الطحاوية، بحسب ما يراه مناسبـًا له.

ومن عرف الحالة الأولىٰ والحالة الثالثة التي سيتكلم عنها؛ سيعرف ما بينهما.

الحالة الثالثة من حالات تعليم الناس...

وشرع المؤلف رحمه الله في ذكر الحالة الثالثة من أحوال المتعلمين فقال:

وَإِنْ كَانَ مِثْلَ غَالِبِ النَّاسِ ضَعِيفَ الفَهْمِ، فُيصَرِّحُ لهُ: بِحَقِّ اللهِ عَلَىٰ العَبِيدِ، مِثْلَ مَا ذكرَ النَّبِيُّ ﷺ لِمُعاذٍ.

هذه هي الحالة الثالثة من أحوال المتعلمين وهي حالة مهمة ، إذ أن غالب الناس هم منها، ولذلك وصفها بقوله (غالب الناس).

واكتفىٰ في وصف أهل هذه الحالة بأن صاحبها ضعيف الفهم، وعندنا هنا مسألتان:

*** الأولىٰ: ما مقصوده بضعيف الفهم؟:**

هذا الوصف الذي ذكره الشيخ ليس ذماً للناس، وذلك أن الإنسان بشر، يفوته من كمال العلم وقوة الفهم ما يفوته، فقد يكون الرجل ديِّناً وذا خلق، ولكن يكون ناقص العلم أو ضعيف الفهم، فيفوته من الصواب بقدر ما حصل له من النقص والضعف.

أو يكون قد نشأ علىٰ طريق معين، أو مذهب معين، لا يكاد يعرف غيره، فيظن أن الصواب منحصر فيه، ونحو ذلك(١).

الفهم قدرة عقلية تتفاوت بين الناس في قوتها وضعفها، فحَسَنُ الفهم يفهم الكلام من أول مرة، وقد لا يحوجك إلىٰ إيضاح أو تكرار، وأما ضعيف الفهم فقد يحتاج إلىٰ تكرار ما تريد إبلاغه له، وكذلك قد يفهم الفكرة علىٰ غير مراد قائلها، فلا يكون التعامل معه كمن عنده سرعة فهم.

وضعف الفهم ينتاب غالب الناس، ويحتاج المرء إلىٰ مجاهدة وصبر، فحتىٰ العلماء الأوائل عانوا ذلك حتىٰ نالوه، قال أبو هلال العسكري في كتابه «الحث علىٰ طلب العلم»: والحفظ لا يكون إلا مع شدة العناية وكثرة الدرس وطول المذاكرة، ثم نقل عن أبي السمح الطائي قوله: كنت أسمع عمومتي في المجلس ينشدون الشعر، فإذا استعدتهم زجروني وسبوني، وقالوا: تسمع شيئاً ولا تحفظه، قال أبو هلال: وكان الحفظ يتعذر علي حين ابتدأت أرُومُه، ثم عودته نفسي، إلىٰ أن حفظت قصيدة رؤبة «وقاتم الأعماق خاوي المخترق...» في ليلة وهي قريب من مائتي بيت.

وقد قال ابن القيم: والمقصود تفاوت الناس في مراتب الفهم في

---

(١) القواعد المثلىٰ، لابن عثيمين (٨٦).

النصوص، وأن منهم من يفهم من الآية حكماً أو حكمين، ومنهم من يفهم منها عشرة أحكام أو أكثر من ذلك، ومنهم من يقتصر في الفهم علىٰ مجرد اللفظ دون سياقه، ودون إيمائه وإشارته وتنبيهه واعتباره، وأخص من هذا وألطف ضمه إلىٰ نص آخر متعلق به، فيفهم من اقترانه به قدراً زائداً علىٰ ذلك اللفظ بمفرده، وهذا باب عجيب من فهم القرآن لا يتنبه له إلا النادر من أهل العلم، فإن الذهن قد لا يشعر بارتباط هذا بهذا وتعلقه به[1]. اهـ.

لذلك فالعلماء يتفاوتون في الفهم والاستنباط فكيف بعامة الناس.

لكن محل الذم هو البلادة، فبليد الفهم هو الذي لا يفهم إطلاقـًا، ومثله قد لا يَحسنُ اطلاعه علىٰ بعض دقائق المسائل؛ لأنه لن يفهمها، ومثل هذا النوع من الناس لا نتطرق لهم ، بل يحتاجون إلىٰ ذكرهم في بيان مرحلة لم يذكرها المصنف.

*** الثانية: لماذا وصف المصنف هذه الحالة بضعف الفهم، أليس هناك أوصاف أظهر للمراد؟**

تكلم ابن خلدون عن طرق التعليم وذكر كلامـًا مهمـًا حول ذلك: فقال: إن قبول العلم والاستعداد لفهمه، ينشأ تدريجيًا، ويكون

(١) أعلام الموقعين (١/ ٢٦٧).

المتعلم أول الأمر عاجزاً عن الفهم بالجملة، إلا في الأقل، وعلىٰ سبيل التقريب والإجمال والأمثال الحسية.

ثم لا يزال الاستعداد فيه يتدرج قليلاً قليلاً، بمخالفة مسائل ذلك الفن وتكرارها عليه، والانتقال فيها من التقريب إلىٰ الاستيعاب الذي فوقه، حتىٰ تتم الملكة في الاستعداد، ثم في التحصيل ويحيط هو بمسائل الفن، وإذا ألقيت عليه الغايات في البداءات وهو حينئذ عاجز عن الفهم والوعي وبعيد عن الاستعداد له كَلَّ ذِهنُهُ عنها، وحسِبَ ذلك من صعوبة العلم في نفسه، فتكاسل عنه وانحرف عن قبوله، وتمادىٰ في هجرانه، وإنما أتىٰ ذلك من سوء التعليم. اهـ.

لذلك فقول الشيخ رحمه الله: (ضعيف الفهم) هو أقرب تعبير ممكن لتحديد مرحلة الفهم لدىٰ المتلقي، بأنه لا زال في مرحلة التعلم الأولىٰ التي يحتاج فيها إلىٰ التدرج معه ليكون أوسع فهماً، فظهر بذلك أن الشيخ محمداً أراد من قوله (ضعيف الفهم) أن تتدرج معه بالتعليم، وأن تبدأ بالأمور الحسية وعلىٰ سبيل التقريب، ولا تبلغه الغايات في البدايات، يعني ما تأتي وتقول له: أنت كافر، وستدخل النار؛ لأنك تعبد غير الله، بل تأتيه بمثل ما ذكره المصنف من الترتيب المنطقي في الطرح.

***

محتوى ما يعلمه أهل هذه الحالة:

أولاً: حق الله تعالى:

حيث قال: **فتصرح له بحقِّ الله علىٰ العبيد مثل ما ذكر النبي ﷺ لمعاذ،**

حق الله علىٰ العبيد: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، يعني لا يريد الله منك غير أن تعبده ولا تشرك به شيئًا، ليدخلك الجنة، ومثَّل المؤلف علىٰ ذلك بقول النبي ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه، ويعني به ما جاء عند البخاري وغيره عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: (يا معاذ أتدري ما حَقُّ الله علىٰ العباد؟)، قال: الله ورسوله أعلم، قال: (أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، أتدري ما حقهم عليه؟)، قال: الله ورسوله أعلم، قال: (أن لا يعذبهم).

التوحيد هو حق الله الواجب علىٰ العبيد، وهو أعظم أوامر الدين وأصل الأصول كلها، وأساس الأعمال، والأدلة عليه كثيرة جداً من الكتاب والسنة.

ولكن حديث معاذ رضي الله عنه مهم في هذه المرحلة، وهي مرحلة تعليم أهل هذه الحالة الثالثة ممن هو ضعيف الفهم؛ لثلاثة أمور:

الأول: أنه حدَّد حق الله تعالىٰ بشيء واحد، وهو عبادته وحده لا شريك له، فأنا لم أطلب منك أيها المتعلم للتوحيد والعقيدة الصحيحة

أموراً كثيرة، وإنما طلبت منك أمراً واحداً، فالتجرد من الشرك لا بد منه في العبادة، وإلا فلا يكون الإنسان عابداً لله حق العبادة إذا هو لم يتجرد من الشرك كله، وهذا ما سيؤكده المؤلف بعد انتهائه من تحديد الواجبات.

الثاني: أنه جاء علىٰ سبيل المقابلة، وهو أوضح ما يكون في التعليم، وهو تأكيد لما ذكرناه في مسألة تعليم هذا النوع أن يكون بالأمور الحسية والمنطقية، فكأنك تقول لمن تدعوه: الله له حق عليك، ولك حق علىٰ الله، فإن كنت تريد الله أن يعطيك حقك؛ فأعطه حقه، وهو أمر واحد فقط، أن تعبده ولا تشرك به شيئًا.

الثالث: أن حديث معاذ رضي الله عنه أخرج السؤال بصيغة الاستفهام، ليكون أوقع في النفس، وأبلغ في فهم المتعلم، فإن الإنسان إذا سئل عن مسألة لا يعلمها، ثم أُخبرَ بها بعد الامتحان بالسؤال عنها، كان أوعىٰ لفهمها وحفظها، وهذا من حسن إرشاده وتعليمه ﷺ، الذي ينبغي لك أيها المعلم أن تقتدي به.

وحديث معاذ هذا هو أول حديث ذكره الشيخ محمد في كتاب التوحيد؛ لأجل التسلسل الذي ذكرناه فيه، ولو درست كتاب التوحيد وتسلسل الأبواب لوجدت أن الشيخ محمداً يسير علىٰ هذه الطريقة التي قررها هنا، وهو البدء بالمحسوسات أو الأقل، ثم ما أكثر منه.

بل إن الشريعة كانت تنزل علىٰ الناس هكذا شيئًا فشيئًا، وهذا باب طويل، ليس المقام مقام إفاضة فيه.

۞ ثانياً: حقوق الخلق، وأعظمها حق النبي ﷺ، وتدرج الشيخ في إفهامها:

يقول الشيخ: وَيَصفُ لَهُ حُقوقَ الخَلقِ، مِثلَ حَقِّ المُسْلمِ عَلَىٰ المُسْلِمِ، وحَقِّ الأَرحامِ، وَحقِّ الوَالدينِ.

شرع المؤلف في بيان ما يجب عليك تعليمه لأهل هذه الحالة بعد تعليمهم حق الله تعالىٰ، فإنك لما بيَّنتَ له أن الواجب عليه تجاه ربه سبحانه هو حق واحد، تنتقل معه إلىٰ الحق الآخر الواجب عليه؛ وهو حق الرسول ﷺ.

لكن تبدأ معه في التعامل بالمسلمات لديه، وهي الحقوق الواجبة منه تجاه الغير؛ لأن العقل يحث عليها ويأمر بها، فقال الشيخ: (ويصف له حقوق الخلق) يعني أن كل مخلوق فله حقوق علىٰ غيره من المخلوقين، فلا يمكن للإنسان أن يعيش وحده، بل لا بد له من العيش مع الناس ومخالطتهم.

والتعامل مع الناس يختلف بحسب نوعهم، وأوسع شريحة يتعامل معها هم المسلمون، فالمسلم له حق علىٰ غيره من المسلمين، ولهم عليه حقوق جاءت بها السنة مثل ما جاء في الصحيحين وهذا

لفظ مسلم عن أبي هريرة ﵁، قال: قال رسول الله ﷺ: **(خمس تجب للمسلم علىٰ أخيه: رد السلام، وتشميت العاطس، وإجابة الدعوة، وعيادة المريض، واتباع الجنائز)**، ومنها: بلفظ آخر: عن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: **(حق المسلم علىٰ المسلم ست)** قيل: ما هن يا رسول الله؟، قال: **(إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه)**.

هذه الحقوق وغيرها كثير جاءت به السنة النبوية وتدعو إليه مكارم الأخلاق، ولا ينكرها صاحب عقل.

فتصف له هذه الحقوق، وأن مقتضىٰ الأخوة الدينية تقتضي الوفاء بها، فإذا فهم عنك ذلك فتنتقل معه إلىٰ دائرة أضيق من حقوق المسلمين عامة، وهم أقاربه وأرحامه؛ لأن الله قد فطر الخلق علىٰ الانتماء لقبائلهم وأسرهم، وقد تجد الشخص في دفاعه عن أسرته وقبيلته أشد دفاعـًا عن غيرهما، بل يعتبرون المقصر في حق أقاربه ناقص المروءة والانتماء؛ ولذلك قال الشيخ: (وحق الأرحام)، يعني إذا وصفتَ له حق المسلم علىٰ المسلم؛ فانتقل معه إلىٰ حق أعظم في نظره وهو حق أرحامه، وهو الحق الذي تتباهىٰ القبائل بحفظه والقيام به، فكذلك الشريعة جاءت بالمحافظة علىٰ حق الأرحام، بل إن النبي ﷺ

جعلها بعد حق الله تعالىٰ، كما جاء عند أبي يعلىٰ بسند صحيح عن رجل من خثعم رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ وهو في نفر من أصحابه فقلت: أنت الذي تزعم أنك رسول الله؟ قال: (نعم) قلت: يا رسول الله أي الأعمال أحب إلىٰ الله؟ قال: (إيمان بالله) قلت: يا رسول الله ثم مه؟ قال: (ثم صلة الرحم) قلت: يا رسول الله أي الأعمال أبغض إلىٰ الله؟ قال: (الإشراك بالله) قلت: يا رسول الله ثم مه؟ قال: (ثم قطيعة الرحم) قلت: ثم مه؟ قال: (ثم الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف).

والأحاديث الواردة في الأمر بحق الأرحام كثيرة، سردُها يطول معنا، لكن المقصود هنا أن تنظر إلىٰ استخدام المؤلف هنا كلمة (حق) يعني أنه شيء واجب تقتضيه قرابتك بهم، وأنه أمر لازم.

ثم انتقل معه بعد ذلك إلىٰ دائرة أضيق من حق المسلمين جميعًا أو حق الأرحام، إلىٰ حق شخصين فقط؛ هما: الوالدان؛ لذلك قال المؤلف (وحق الوالدين) فهذا الحق الذي تبذل دونه النفوس، وهو حق الوالدين، فحتىٰ البهائم تدافع عن والديها، وتقوم بحقوقهم، وكذلك المسلم يرىٰ حق والديه فوق كل حق، لا يرضىٰ بأن يعتدىٰ عليهما أو يُمَسَّا بسوء، فالشريعة الإسلامية فجعلت حقهما أعظم الحقوق، فجاء في أكثر من آية ربط حق الوالدين بحق الله تعالىٰ: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ (لقمان:١٤)، ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ

إِحْسَـٰنًا ﴾ (الإسراء:٢٣)، ﴿ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۖ ﴾ (الأنعام:١٥١)، وجاء في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله أي الأعمال أحب إلىٰ الله؟ قال: (الصلاة علىٰ وقتها) قلت: ثم أي؟ قال: (ثم بر الوالدين) قلت: ثم أي؟ قال: (الجهاد في سبيل الله).

وحق الوالد علىٰ ولده تدعو إليه الفطرة والعقل السليم، فحتىٰ البهائم تدافع عن والديها، وتقوم بحقوقهم، فالمقصود أن الشريعة أكدت حق الوالدين، وهو مما يُقرُّ لك به المتعلم والمتلقي.

*** فائدتان في ترتيب المؤلف لكلامه:**

ونستفيد مما سبق في سياق هذه الحقوق التي ذكرها الشيخ مسألتين:

الأولىٰ: أن الواو الواردة في قول الشيخ: **(وَيَصفُ لَهُ حُقوقَ الخَلقِ، مِثلَ حَقِّ المُسْلمِ عَلَىٰ المُسْلِمِ، وحَقِّ الأَرحامِ، وَحقِّ الوَالدينِ)** تفيد معنىٰ الترتيب، وإفادة الواو للترتيب هو أحد معاني الواو العاطفة، فهذا المعنىٰ للواو معنىٰ صحيح، فقد وردت في مواضع من القرآن الكريم بمعنىٰ الترتيب، كقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ ﴾ (البقرة:١٥٨). قال ﷺ: (أبدأ بما بدأ الله به) وبدأ بالصفا، يقول أهل العلم: إن المتكلم لا يبتدئ إلا بما هو الأهم الأقدم عنده، وفي قوله

تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ﴾ (الحج:٧٧)، فقالوا: إن الواو هنا تدل علىٰ الترتيب فالركوع سابق علىٰ السجود.

وحتىٰ الذين قالوا: إنها لا تفيد الترتيب، قالوا: إن الترتيب في هاتين الآيتين استفيد من معنىٰ خارج عن اللفظ، فبدأ النبي ﷺ بالصفا، ثم قال: (خذوا عني مناسككم)، فأفاد قوله الأخير الترتيب، ومثلها أيضًا: الركوع والسجود أخذت من قوله ﷺ: (صلوا كما رأيتموني أصلي).

نقول كذلك: كلمات الشيخ محمد التي عطفها بالواو هنا؛ إذا لم تفد الترتيب بلفظها فقد أفادته بمعنىٰ الكلام، وتدرجه المنطقي والحسي، فاتفقنا جميعًا علىٰ أن معنىٰ الواو هنا الترتيب، إما أصالة، أو بسبب ما يفيده السياق.

ومثل هذا كثير، وأقرب مثال ما ذكرناه في الآيات السابقة عن بر الوالدين، حيث عُطِف علىٰ حق الله تعالىٰ بالواو، والمعنىٰ في الآيات الترتيب.

الثانية: وبناء علىٰ ذلك فإن ترتيب الشيخ لهذه الحقوق: (حق المسلم علىٰ المسلم ثم حق الأرحام ثم حق الوالدين) لم يكن عبثًا، كما قد يتصوره غير المتمعن، وهذا مما يُعمِّق لديك أهمية هذه الرسالة، وأنها ليست رسالة عابرة كتبها الشيخ، دون اختيار لألفاظها.

*** حق النبي ﷺ آكد الحقوق:**

والمقصد هنا أن الشيخ يقول: إذا تقرر لدىٰ المدعو هذه الحقوق، وتدرجها من حقوق المسلمين ثم الأرحام ثم الوالدين، فاجمع هذه الحقوق كلها، وأعلمْهُ أن هناك حقـًا لشخص واحد فقط هو أعظم من هؤلاء كلهم، وهو رسول الله ﷺ، فقال المؤلف:

وَأَعْظمُ مِن ذلكَ حقُّ النَّبيِّ ﷺ، وَأَفْرَضُهُ شهَادَتُكَ لَهُ أَنَّهُ رسولُ اللهِ، وأنَّهُ خَاتمُ النَّبيين.

وهذا انتقال من الأدنىٰ إلىٰ الأعلىٰ، فانتقل من الحق الأدنىٰ، وهو حق المسلم علىٰ المسلم، إلىٰ أعلىٰ الحقوق التي من لم يؤدها يكون مشركـًا، وهو حق النبي ﷺ؛ لذلك فهذه العبارة من الشيخ يكون إيضاحها في عدة مسائل:

المسألة الأولىٰ: أن حق النبي ﷺ فوق كل الحقوق السابقة التي سبق ذكرها، كَحقِّ المسلم علىٰ المسلم وحق الأرحام وحق الوالدين، وهذا بلا شك عقيدة يجب أن نعتقدها، فبما أن من قصَّر في حق المسلمين، ليس مثل من قصَّر في حق رحمه، ومن قصَّر في حق رحمه ليس كمن قصَّر في حق والديه؛ ولذلك كانت عقوبة عاقِّ الوالدين شديدة، وأقلُّ منه شدة: عقوبة قاطع الرحم، ومن لا يؤدي حق المسلمين فليس منهم، كما جاء في السنة.

لكن حق الرسول ﷺ فوق كل تلك الحقوق، ولذلك يتمثل أمامنا قصة عمر رضي الله عنه مع النبي ﷺ فيما رواه البخاري عن عبد الله بن هشام، قال: كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال له عمر: يا رسول الله، لأنت أحب إليَّ من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبي ﷺ: (لا، والذي نفسي بيده، حتىٰ أكون أحب إليك من نفسك)؛ فقال له عمر: فإنه الآن، والله لأنت أحب إلي من نفسي، فقال النبي ﷺ: (الآن يا عمر).

فليس فوق حقِّ النبي ﷺ، أي حقٍّ حتىٰ حقَّ نفسِ الشخص.

وهذا كله من باب الإقناع أن ينتقل بالمتلقي من الحقوق الكثيرة الواجبة عليه تجاه المسلمين، ثم مَنْ أقل منهم وهم الرحم، وحقهم أعظم ممن قبلهم، ثم من هم أقل منهم وأعظم ممن قبلهم وهم الوالدان، ليقول: إن هناك شخصاً واحداً له فوق هذه الحقوق كلها وهو نبي الله ﷺ.

المسألة الثانية: قوله (وأفرَضُه) يعني: الحقوق الواجبة للنبي ﷺ كثيرة عليك أيها المؤمن، وهذا متصورٌ عقلاً، فإن من يكون في أعلىٰ الحقوق؛ فلا شك أن كل الحقوق السابقة الواجبة لغيره واجبة له.

فإذا كنت تحب أخاك المسلم، فمحبتك للرحم أعلىٰ.

ثم محبتك لوالديك أعلىٰ من رحمك.

ثم محبتك لمحمد ﷺ أعلىٰ منهما.

لكن ما دمت هنا أيها المعلم تُعلِّم خالي الذهن؛ فأحسن تعليم له أن تقلِّل عليه الواجبات، أو تنتقل به من المهم إلىٰ ما دونه؛ لذلك يقول الشيخ: أخبره أن أفرض - يعني أوجب -، حقوق النبي ﷺ عليك حقَّان.

المسألة الثالثة: أن أفرض حقوق النبي ﷺ علىٰ أمته كما ذكرهما المصنف هنا: **شهَادَتُكَ لَهُ أَنَّهُ رسولُ اللهِ، وأَنَّهُ خَاتمُ النَّبيين**:

هذان حقَّانِ للنبيِّ ﷺ علىٰ أمته.

الحق الأول: أن تشهد له بالرسالة، لأن الله شهد له بذلك يقول تعالىٰ: ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ** ﴾ (آل عمران:١٤٤)، وقال تعالىٰ: ﴿ **مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا** ﴾ (الفتح:٢٩)، والأدلة علىٰ هذا الأمر كثيرة.

الحق الثاني: مترتب علىٰ الأول: هو أنه خاتم النبيين، يعني ختم الله به الرسل، فلم يأت بعده رسول ولا نبي ﷺ، وهذا أيضًا يدل عليه القرآن ﴿ **مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ** ﴾ (الأحزاب:٤٠).

فإذا علم المتعلم ذلك، فقد تحقق ما يهدف الشيخ من تعليمه لمثل مَنْ هذه حاله، بأن يزيل ما قد يكون علق في اعتقاده من تعظيم

أشخاص، أو أولياء، أو قبور، أو غير ذلك.

لأنه: لا حق عليك واجب للناس، أعظم من حق الرسول ﷺ.

ولم يأت بعد النبي ﷺ نبي أو رسول، يمكن أن تبحث عن الحق فيما يدعو إليه.

*** قاعدة: التخلية قبل التحلية:**

إذا تأملت عبارة الشيخ هنا، وجدته يريد تطبيق قاعدة: «التخلية قبل التحلية»، ومعناها واضح في عبارة الشيخ هنا: أنه أراد تخلية قلب المتعلم من تعظيم أي قول فوق قول الرسول ﷺ، أو إعطاء أي مخلوق طاعة أو محبة فوق طاعة ومحبة رسول الله ﷺ.

وقد عقد ابن القيم باباً في كتابه روضة المحبين ونزهة المشتاقين فقال: باب في اقتضاء المحبة إفراد الحبيب بالحب، وعدم التشريك بينه وبين غيره فيه، ثم قال: هذا من موجبات المحبة الصادقة وأحكامها، فإن قوىٰ الحب متىٰ انصرفت إلىٰ جهة لم يبق فيها متسع لغيرها.

ومن أمثال الناس: (ليس في القلب حبان، ولا في السماء ربان)، ومتىٰ تقسمت قوىٰ الحب بين عدة محالٍّ ضعفت لا محالة، وتأمل قوله ﷻ: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ﴾ (الأحزاب:٤) تجد تحت هذا اللفظ أن القلبَ ليس له إلا وجهةٌ واحدة، إذا مال بها إلىٰ

جهةٍ لم يَمِلْ إلىٰ غيرها، وليس للعبد قلبان يطيع الله ويتبع أمره ويتوكل عليه بأحدهما، والآخر لغيره، بل ليس له إلا قلبٌ واحد، فإن لم يُفْرِدْ بالتوكل والمحبة والتقوىٰ ربَّه، وإلا انصرف ذلك إلىٰ غيره»[1].

وهذا المعنىٰ ليس في مسألة الشهادة لمحمد ﷺ بالحقوق والواجبات وأنه رسول الله وخاتم النبيين، بل في كل شيء، وأعظمها الشهادة لله بالتوحيد، وسيؤكد عليه الشيخ فيما يأتي من كلامه.

لكن مشياً علىٰ هذا المعنىٰ، وهو التخلية قبل التحلية، يمكن أن يكون هناك اعتقاد لدىٰ المتلقي بتعظيم أحدٍ غير رسول الله ﷺ، كصحابته رضي الله عنهم وأرضاهم، فبادر المؤلف إلىٰ تعليمك أيها المعلم والداعي إلىٰ الله أمراً تعلمه من تريد تعليمه ودعوته فقال:

۞ ثالثاً: حق الصحابة رضي الله عنهم:

وَتَعْلَمَ أَنَّكَ لَو تَرْفعُ وَاحِداً مِنَ الصَّحَابةِ في مَنزلةِ النُّبوةِ، صِرتَ كَافِراً.

يريد المصنف من هذه العبارة، التي تُعلِّم بها المتلقي تحقيق أمرين:

أولهما: رد لشبهة قد تكون مرتسمة لدىٰ المتعلم، أو ترِد عليه وأنت تعلمه أن لا حق فوق حق رسول الله ﷺ، والشبهة أن صحابته رضي الله عنهم؛ بصحبتهم له ودفاعهم عنه بأنفسهم وأموالهم صار لهم من

---

(١) روضة المحبين (٢٨٨).

المنزلة ما قد يوازي حق النبوة، فقال دفعاً أو رفعاً لهذه الشبهة: وتعلم أيها المتعلم أنك لو رفعت أي شخص كائناً من كان، وأوصلته إلىٰ مقام النبوة، أنك وقعت في منزلقٍ خطير جداً، وهو الكفر بالله تعالىٰ والخروج من الملة.

وهذا الأسلوب من المؤلف ﷺ، في ترتيب ما توصله إلىٰ المتلقي، أسلوب بديع في المحاورة والإقناع، وهو أفضل من أن تبادره بقولك: إن اعتقادك في الولي فلان أو القبر الفلاني أنك مخطئ، بل بدأ بهذه المقدمة الطويلة؛ ليخلي ذهنه من كل متبوع، ثم يبين له حكم اعتقاد عظمة المتبوعين فوق محمد ﷺ.

ثانيهما: لأن التعليم هنا في الغالب يكون قصيراً، فالمتوقع أن من أمامك قد يكون عنده لوثة في الاعتقاد في المخلوقات، ولأنك لا تدري ماذا يعتقد، ومن هو الولي الذي يظن فيه النفع والضر، وتَتَبُّع مثل ذلك يطول بك، فأنت أيها المعلم أقنعه بأنه إذا اعتقد في أصحاب رسول الله ﷺ اعتقاداً ينزلهم فوق منزلة النبي ﷺ يصير كافراً، فالولي أو الشخص الذي تعتقد فيه هو بلا شك أقل من الصحابة مكانة، فالكفر لمن أعطاه منزلة النبوة من باب أولىٰ.

لكن ما الذي يجب عليه اعتقاده في صحابة رسول الله ﷺ ورضي عنهم؟

الواجب تجاه الصحابة ثلاثة أمور هي إجمالاً:

سلامة القلب من الغل والبغضاء فيهم، وسلامة اللسان من الطعن فيهم.

واعتقاد فضلهم وأنهم أفضل الأمة بعد نبيهم محمد ﷺ، وتفاضل ما بينهم بحسب سابقتهم في الإسلام، وأنهم ليسوا معصومين بل بشر يصيبون ويخطئون.

وذكر محاسنهم، والسكوت عن مساوئهم، وعدم الخوض فيها.

❁ رابعاً: التكرار بشأن حق الله تعالى وأنه أعظم الحقوق:

يقول الشيخ: فَإِذَا فَهِمَ هَذَا فقُلْ: حَقُّ اللهِ عَليكَ أَعْظَمُ وَأَعْظَمُ.

هذا من باب إقناع المتعلم بالمحسوسات ليسلِّم لك بالمغيبات، وهو من التأكيد على حق الله تعالى وأنه فوق الحقوق كلها.

فإذا أفهمتَ المتعلم بهذه الحقوق، وتسلسلها الذي ذكرناه، وأن أعلاها وأجمعها هو حق رسول الله ﷺ، وفهمَ ذلك باقتناع، انتقل معه إلى مرحلة أخرى، وهي أن هناك حقاً أعظم من هذه الحقوق كلها وهو حق الله تعالى، يعني أن حق الله تعالى الذي أخبرتك به في بداية تعليمي لك؛ أعظم من هذه الحقوق التي بينتها لك: حق المسلم على المسلم، وحق الأرحام، وحق الوالدين، بل وحق النبي ﷺ، وكذلك: حق صحابته رضي الله عنهم.

فبدلاً من أن تعلم المتعلم بحق الله مباشرة، ينبغي أن تُحرِّك لديه ما يعرفه بفطرته من حقوق الخلق، التي يحرص هو عليها من باب الفطرة وباب الانتماء، وهذا من باب الاختصار ومن باب الإقناع أيضـًا.

ومثل ذلك: لو عندك طفل صغير، وتريد أن تصف له الأرض وسعتها، لا يمكن أن توصل إليه ذلك إلا بأن تصفها بما يعرفه من المحسوسات، فتقول مثلاً: ما أكبر شيء مساحة؟

فسيجيب: بيتنا أو المزرعة أو المدينة التي نعيش فيها، فتقول له: الأرض أكبر من بيتكم، وأكبر من مزرعتكم، وأكبر من المدينة التي تعيش فيها.

ولو جئت له مباشرة وقلت: الأرض أكبر شيء في الدنيا، فسيبادرك مباشرة ويقول: هل هي أكبر من بيتنا أكبر من مزرعتنا أكبر من المدينة؟ وهكذا، فاختلاف الطريقة قد يكون أسرع في الإفهام وأبلغ.

وقول المؤلف هنا: فحق الله عليك أعظم وأعظم، يدلنا علىٰ أمرين:

الأول: أنك حين عَلَّمت من أمامك بحق الله تعالىٰ، كما ذكر المؤلف في مطلع كلامه في الحالة الثالثة؛ اكتفيت ببيان حق الله إجمالاً، كما ورد في حديث معاذ رضي الله عنه ولم تدخل معه في تفاصيل حق الله تعالىٰ، حتىٰ تؤسس عنده أهمية عدد من الحقوق الراسخة لديه؛ لتوضح له الآن ما هو حق الله علىٰ التفصيل، فأردت أن توضح له أن ما سيأتي من

حق الله تعالىٰ سيكون مفصلاً.

* **فائدة: قاعدة: التأسيس أولىٰ من التأكيد.**

الثاني: أن عندنا قاعدة وهي: التأسيس أولىٰ من التأكيد.

يقول الآمدي: والتأسيس أصل والتأكيد فرع، وحمل اللفظ علىٰ الفائدة الأصلية أولىٰ.

والمؤلف هنا كرر كلمة (أعظم) مرتين، وبناء علىٰ هذه القاعدة فإنه فيما يظهر أن تكرارها ليس من باب التأكيد، بل كل واحدة لها معنىٰ، يعني فحق الله أعظم من هذه الحقوق في قوة ذاتها، وأعظم أيضاً في إلزامك بها ووجوبها عليك.

كما تقول في المقارنة بين تعلم الفقه والعقيدة مثلاً: تعلم العقيدة أعظم وأعظم، يعني: أعظم فائدة عائدة إليك، وأعظم وجوباً عليك من تعلم الفقه.

خامساً: إبطال المفاهيم المخالفة للتوحيد:

ثم قال المؤلف رحمه الله: **فَإِذَا سَأَلَ عنْ حقِّ اللهِ؛ فَاذْكُرْ لهُ أَنَّكَ تَعْبدُهُ، وَلا تَصِيرَ مِثْلَ البَدَويِّ.**

يعني اعلم أيها المعلم والداعي إلىٰ الله أنك قد تواجه من المتلقي ما لا يخرج عن حالتين:

الحالة الأولىٰ: أن يوافقك فيما تبينه له من حق الله تعالىٰ، فهذا

تنتقل معه إلىٰ تعليم أنواع التوحيد، وسيأتي ذلك.

الحالة الثانية: أن يكون عنده معرفة سابقة عن حق الله تعالىٰ، ولكنه فهم ناقص، ولذلك عبر عنه المؤلف هنا: (ولا تصير مثل البدوي)، وحتىٰ نفهم معنىٰ عبارة المؤلف، وقوله: (فاذكر له أنك تعبده)، نبين معنىٰ قوله: (ولا تصير مثل البدوي).

*** فائدة: ما هو دين البدوي؟**

ومشياً علىٰ القاعدة التي ذكرناها في بداية كلامنا من أن فهم كلام المؤلف يُستقىٰ من كلامه الآخر، فقد قال الشيخ في توضيح ما يمكن تسميته (دين البدوي)، في رسالته في حكم المرتد كما في الدرر السنية: أن العلماء في زماننا، يقولون: من قال: لا إله إلا الله فهو المسلم، حرام المال والدم، لا يكفر، ولا يقاتل، حتىٰ إنهم يصرحون بذلك في البدو، الذين يكذبون بالبعث، وينكرون الشرائع كلها، ويزعمون أن شرعهم الباطل هو حق الله، ولو يطلب أحد منهم خصمه أن يخاصمه عند شرع الله، لعدوه من أكبر المنكرات. اهـ.

وأصرح من ذلك قوله ﷺ في إحدىٰ رسائله بعد أن بين العقيدة الصحيحة[1]. قال: فهذا كلام رسوله ﷺ، وقد أجمع العلماء عليه من كل مذهب، وخالف ذلك من هؤلاء الجهال، الذين يسمون علماء،

(١) (٩/ ٢٣٨).

فقالوا: من قال لا إله إلا الله، فهو المسلم حرام الدم والمال، وقد بين النبي ﷺ الإسلام في حديث جبريل - لما سأله عن الإسلام - فقال: (الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً) فهذا تفسير رسول الله ﷺ.

وهؤلاء يقولون: إن للبدو إسلامًا؛ لأنهم يقولون: لا إله إلا الله، فمن سمع كلامهم، وسمع كلام رسول الله ﷺ فلا بد له من أحد أمرين، إما أن يصدق الله ورسوله، ويتبرأ منهم ويكذبهم، وإما أن يصدقهم، ويكذب الله ورسوله، فنعوذ بالله من ذلك، والله أعلم. اهـ.

فتبين بذلك أن قصد المؤلف بقوله البدوي: أي العقيدة التي يعتقدها بعض الجهال في الله تعالىٰ، ويزين لهم بعض علماء الضلال، بأنها كافية في توحيد الله تعالىٰ، فلا يصدِّقون بالبعث، ويعتقدون في مشايخهم وأوليائهم النفع والضر، وهم مع ذلك يقولون: لا إله إلا الله، فهل ينفعهم قول لا إله إلا الله، مع عدم تطبيقهم لمعناها، وهو إخلاص التوحيد لله تعالىٰ؟

وقال رحمه الله أيضًا[1]: فانظر ما بين هذا، وبين ديننا الأول: (البدو إسلام)، مع معرفتنا بما هم عليه من البراءة من الإسلام كله، إلا قول: لا

(١) (٩/٣٩٣).

إله إلا الله، ولا نظن أن أحدا منهم يكفر، إلا إذا انتقل يهوديـاً أو نصرانيـاً.

فإذا آمنت بما ذكر الله ورسوله، وأجمع عليه العلماء، وبرئت من دين آبائك في هذه المسألة، وقلت: آمنت بالله، وبما أنزل الله، وتبرأت مما خالفه باطناً وظاهراً، مخلصاً لله الدين في ذلك، وعرف الله ذلك من قلبك، فأبشر، ولكن سلِّ الله سبحانه التثبيت، واعرف أنه مقلب القلوب. اهـ.

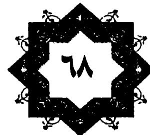
وأوضح منه قوله أيضاً[1] عن أن ذلك الاعتقاد زينه بعض العلماء: إنهم يكفرون بالقرآن من أوله إلىٰ آخره، ويكفرون بدين الرسول كله، مع إقرارهم بذلك، وإقرارهم أن شرعهم أحدثه آباؤهم لهم؛ كفرٌ بشرع الله، وعلماء الوقت يعترفون بهذا كله، ويقولون: ما فيهم من الإسلام شعرة، لكن من قال: لا إله إلا الله، فهو المسلم، حرام المال والدم، ولو كان ما معه من الإسلام شعرة.

وهذا القول، تلقته العامة عن علمائهم، وأنكروا ما بيَّنه الله ورسوله، بل كفَّروا من صدق الله ورسوله في هذه المسألة، وقالوا: من كفَّر مسلماً فقد كفر؛ والمسلم عندهم: الذي ليس معه من الإسلام شعرة، إلا أنه يقول: لا إله إلا الله. اهـ.

فتبين مما سبق أن قصد الشيخ بالبدوي ليس ذات البدوي نفسه،

---

(١) (٩/٣٨٦).



وهو من يسكن البادية، بل هو عبارة عن اللفظ الدارج، كما يتعارف الناس علىٰ تسمية بعض الأمور بمن يكثر فيهم، كما تقول لمن يتأول في أكل المال: هذا دين اللصوص أو مذهب اللصوص، وهذا لا يعني أن للصوص مذهباً، أو أن كل اللصوص علىٰ هذه الطريقة.

وأيضاً فقد سبق أن ذكرنا في المقدمة الثالثة أن مقصود الشيخ بالمعلم، هو من كان يبعثه لتعليم الناس، وقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن: أن أهل نجد من البدو، فكان مناسباً أن يخاطبهم بمفهومهم، يعني: لا يكن دينك كالبدوي الذي لا يحقق التوحيد لله تعالىٰ.

وقد أطلنا الكلام علىٰ هذا الموضع لأنه مهم.

إذا تبين ذلك فمعنىٰ قول المؤلف: (فاذكر له أنك تعبده)، يعني أن مقتضىٰ حق الله تعالىٰ الذي ذكرته لك أنه أعظم الحقوق قدراً ووجوباً عليك؛ فهو عبادته ﷻ، وعبادتك له تقتضي براءتك من كل ما يخالف ذلك، مما يُشرَك معه غيره، في أي نوع من أنواع العبادة.

ولذلك فَصَّل المؤلف بعد ذلك في بيان معنىٰ العبادة، التي هي حق الله تعالىٰ علىٰ العبيد.

۞ سادساً: بيان معنى العبادة الصحيح:

قال رحمه الله: **وأيضاً تُخلِصَ لهُ العِبَادَةَ، لا تكنُ مِثلَ منْ يَدْعوهُ، وَيدعُو غَيرَهُ، أوْ يَذْبحُ لَهُ وَلِغَيرِهِ، أَوْ يَتوكَّلُ عَليهِ وَعَلىٰ غَيرِهِ.**

وَكُلُّ العِبَادَاتِ كَذَلكَ.

هذا عطف من المؤلف علىٰ قوله: (فاذكر له أنك تعبده، وأيضًا تخلص له العبادة)، فجملة (ولا تصير مثل البدوي)، معترضة، لغرض إيضاح قصده بقوله: (أنك تعبده) فلو حذفت لاستقام المعنىٰ.

وإخلاص العبادة لله سبحانه هو روح العبادة، بل لا يقبل الله العبادة ما لم تكن خالصة لله تعالىٰ.

والمقصود بإخلاص العبادة هنا هو معنىٰ شهادة أن لا إله إلا الله الذي لا يستقيم التوحيد بدونه، وهو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله، وهو محل الخلاف بين البشر.

ولذلك أوضح المؤلف هنا الموضع الذي يخالف فيه غالب المدعوين إخلاص العبادة لله، فقال: لا تكن مثل من يدعوه ويدعو غيره، أو يذبح له ولغيره، أو يتوكل عليه وعلىٰ غيره.

التوحيد نوعان: توحيد المعرفة والإثبات، وهو توحيد الربوبية: أن تعلم أن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت ونحو ذلك، وهذا أقرَّ به المشركون في زمن النبي ﷺ، وحتىٰ بعض المشركين اليوم يقرون بذلك، لكن لا ينفعهم ما لم يقروا بالنوع الثاني من التوحيد، وهو توحيد القصد والطلب.

إذا عرفت أن ربك الله هو القادر علىٰ كل شيء فلا تدعو غيره، ولا

تذبح لغيره، ولا تتوكل علىٰ غيره، وإلا فأنت في الحقيقة ما حققت التوحيد.

ولما كان غالب تعلُّقات الناس في هذه الثلاثة: الدعاء والذبح والتوكل، ركز المؤلف عليها، ولا يعني ذلك أن المعلم والداعي لا يستشهد إلا بها، بل يستشهد بكل نوع من أنواع توحيد الألوهية مما ينبغي أن يكون خالصاً لله وحده، لا شريك له.

كما أن المؤلف هنا مثَّل بمن يشرك مع الله غيره، فهو يدعو الله ويدعو صاحب القبر أو الولي، وعَدَّ ذلك مخالفاً لعبادة الله وحده، فمن باب أولىٰ من لا يدعو لقضاء حاجته إلا الولي أو القبر أو الملك، فهو مخالف للتوحيد، فمثل رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالموجود الأقل، ليؤكد علىٰ حرمة ما فوقه.

ومثل ذلك: الذبح لله ولغيره في نفس الوقت، والتوكل علىٰ الله وعلىٰ غيره في نفس الوقت، فكذلك صرف هاتين العبادتين لغير الله شرك من باب أولىٰ.

۞ سابعاً: كل العبادات لا تصرف إلا لله:

ولذلك قال المؤلف: **وَكُلُّ العِبَادَاتِ كَذَلِكَ.**

يعني أنني ما ذكرت لك إلا هذه الأمثلة الثلاثة، وإلا فكل العبادات ينبغي أن لا تصرف إلا لله، ولا بد من إخلاصها لله تعالىٰ،

ومن أنواع العبادات: ما عدده المؤلف في كتابه الآخر «ثلاثة الأصول»، فذكر من أنواع العبادة مع أدلتها أربعة عشر نوعـًا: الدعاء، والخوف، والرجاء، والتوكل، والرغبة، والرهبة، والخشوع، والخشية، والإنابة، الاستعانة، والاستعاذة، والاستغاثة، والذبح، والنذر.

وإنما أخذنا ذلك من كتابه «ثلاثة الأصول» وقد سبق أن ذكرنا أنهم كانوا يتعارفون على تسمية أصول الدين لبعض كتب الشيخ محمد، ككتاب التوحيد والقواعد الأربع وكشف الشبهات وثلاثة الأصول، فلذلك الشيخ هناك عدد أربعة عشر نوعـًا، وتعداده لها هناك ليس حصراً لها، بل ذكرها لأن أكثر ما يقع فيها المخالفة في باب التوحيد، في هذه الأربعة عشر، فلذلك ينبغي للمعلم استحضار هذه الأنواع مع أدلتها، لأنه قد يحتاج إلى بيانها أو بيان بعضها.

والمقصود هنا: أن كل هذه العبادات لا تكون إلا لله تعالى، وهذا ما ينبغي أن نعلمه الناس جميعـًا، وخاصة إن كنا نتعامل مع مثل هذه الحالة التي ذكرها الشيخ رحمه الله.

۞ ثامناً: عقوبة من لم يقر بالتوحيد:

بعد أن بيَّن الشيخ للمعلم ما ينبغي أن يعلمه للمتعلم:

من البدء بإفهامه الحقوق وتدرجها ليصل به إلى أعظمها وهو حق الله تعالى.

ثم أنواع العبادة التي يجب أن تخلص لله تعالىٰ ولا يجوز إشراك غيره معه.

أوضح أنك أيها المعلم تنتقل معه إلىٰ مسألة مهمة، وهي ماذا عليه إذا لم يفعل ما بينته له من إخلاص التوحيد والعبادة لله تعالىٰ فقال رحمه الله:

وَتُعرِّفَهُ أَنَّ مَنْ أَخلَّ بِهَذَا حُرِّمَتْ عَليهِ الجَنَّةُ، وَمَأْوَاهُ النَّارُ؛ وَلَو قَدَّرْنَا أَنَّهُ مَا يُشْرِكُ.

يعني: أن نتيجة من أخلَّ بما قررته لك أيها المتعلم من حق الله تعالىٰ وحق رسوله ﷺ، فإن الجنة محرمة عليه ومصيره إلىٰ النار.

وهذا الأمر الذي ذكره المصنف هنا؛ هو ما دل عليه الكتاب والسنة، وهو أن من أخل بالتوحيد وهو توحيد الألوهية: توحيد القصد والطلب، فقد اتخذ مع الله إلهـًا آخر.

وهذا ما قاله المؤلف بنصه في إحدىٰ رسائله، حيث قال: وأما توحيد الألوهية: فهو إخلاص العبادة كلها بأنواعها لله؛ فلا يدعىٰ إلا الله، ولا يرجىٰ إلا هو، ولا يستغاث إلا به، ولا يتوكل إلا عليه، ولا ينذر إلا له، ولا يذبح ذبح القربات إلا له وحده لا شريك له، وهذا: هو معنىٰ لا إله إلا الله، فإن الإله هو المألوه، والمعبود، فمن جعل الله إلهه وحده، وعبده دون من سواه من المخلوقين، فهو المهتدي.

ومن قاسه بغيره، وعبده، وجعل له شيئًا مما تقدم من أنواع العبادة، كالدعاء، والذبح، والنذر، والتوكل، والاستغاثة، والإنابة، فقد اتخذ مع الله آلهة أخرىٰ، وأشرك مع الله إلهًا غيره، فصار من المشركين الذين قال الله فيهم: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ (النساء:٤٨، ١١٦)، وفي الآية الأخرىٰ: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ﴾ (المائدة:٧٢). اهـ.

وأما قول المؤلف: (ولو قدر أنه ما يشرك) فمقصوده: ولو قدر أن هذا الشخص الذي دعا مع الله غيره لم يعبد غير الله تعالىٰ، حسب تصوره، مما أشار إليه سابقًا بقوله: (أنك لا تصير كالبدوي) وقلنا: إن مقصوده أنهم يقولون لا نعبد إلا الله، ولكنهم يعظمون مشايخهم والمشاهد وغير ذلك، فهو في ظنه أنه لم يشرك، لكن هذا في الحقيقة هو شرك قوم نوح الذي نهىٰ الله عنه.

وهذا الأمر هو الخلاف الذي حصل بين الشيخ محمد وبين بعض معاصريه، حين قالوا: إنك كفَّرت الناس؛ وهم لم يشركوا، يعني: لم يعبدوا مع الله ربًا آخر، لكنهم يجيزون دعاء غير الله، والذبح لغيره، أو إشراك غيره معه، فلهذا قال الشيخ: (ولو قدر أنه ما يشرك)، يعني في نظره ونظر بعض من سولوا له هذا الأمر.

وليس هذا موضع بسط هذه المسألة، وإنما المراد بيان مقصود

الشيخ فيما ينبغي أن يوضحه المعلم.

وهذا النوع الذي ذكره المؤلف هنا، هو أحد أنواع المخالفين للتوحيد، وهم من عرفوا التوحيد، ولكن خالفوه بعمل أشركوا فيه مع الله غيره.

۞ تاسعاً: فائدة ترك الشرك: تصحيح التوحيد:

ثم ذكر الشيخ ﷺ، صورة ثانية من صور الشرك، وقد وصفهم في موضع من رسائله[1] بأنهم أشد الناس خطراً، وهم: من عمل بالتوحيد، لكن لم يعرف قدره، فلم يوالِ الموحد ولم يبغض من ترك التوحيد، ومنهم: من ترك الشرك وكرهه، ولم يعرف خطره، ولم يعاد أهله، وهؤلاء قد خالفوا ما جاءت به الأنبياء من دين الله ﷻ، وقد أشار لهذا النوع في هذه الرسالة، بقوله:

فَإِذَا عَرَفَ التَّوحِيدَ، وَلا عَمِلَ بِهِ، وَلا أَحبَّ وَأَبغَضَ فِيهِ، مَا دَخَلَ الجَنَّةَ، وَلَو مَا أَشْركَ، لأَنَّ فَائِدَةَ تَركِ الشِّركِ: تَصْحِيحُ التَّوحِيدِ.

يعني لا يكفي أن تعرف التوحيد وتترك دعاء غير الله، ورجاء غيره، والذبح لغيره، ولا يكون بعد ذلك لتوحيدك أثر في أفعالك وتصرفاتك، فإن من مقتضيات ترك الشرك بكل صوره: تصحيح التوحيد.

وتصحيح التوحيد: أن يكون تعاملك مع الناس علىٰ وفق ما يحقق

---

(١) (٢/ ٢٢).

التوحيد لله تعالىٰ، فمن لم يعرف قدر ما عمل به، فلم يجيئ بما يصحح توحيده، من القيود الثقال التي لا بد منها؛ لأن التوحيد يقتضي نفي الشرك، والبراءة منه، وتكفير أهله ومعاداتهم، بعد قيام الحجة عليهم؛ لأنه لو عرف قدر التوحيد لأتىٰ بما دلت عليه الآيات المحكمات، كقول الخليل: ﴿ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى ﴾ (الزخرف:٢٦ - ٢٧)، وقوله: ﴿ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا ﴾ (الممتحنة:٤).

فلا بد علىٰ من عرف الشرك وتَرَكَه؛ أن يوالي ويعادي علىٰ التوحيد وأهله ، وهذا ما أشار له الشيخ محمد بإسهاب في رسالة له شرحها حفيده الشيخ عبدالرحمن بن حسن، ولخصها بقوله: فإذا عرف التوحيد؛ ولا عمل به، يعني في تعاملاته مع الناس، وأظهرها: الحب في الله للموحد، والبغض في الله للعاصي والمشرك، كلٌّ علىٰ قدره، فإنه قد عرَّض توحيده للخلل، والله حرَّم علىٰ الجنة أمثال هؤلاء.

وهذه المسألة: مسألة الولاء والبراء مسألة دقيقة، يكفي فيها معرفة أمر مهم وهو أن الشرك وإن كان موجوداً؛ فالواجب علىٰ الموحد بغضه وبغض فاعله، وهو مقتضىٰ التوحيد الخالص، لكن مسألة التعامل مع المشرك والعاصي هذه لها أحكامها الخاصة بها.

فعندنا أمران ينبغي أن نفرِّق بينهما:

الأول: بغض الشرك وأهله، وهذا معتقد لا يجوز لنا التفريط فيه.

والثاني: مقتضىٰ البغض ما هو؟ وهل المسلم مطالب به أم يختلف ذلك بحسب الزمان والمكان؟

وهذا ما أوقع بعض الناس في الخطأ حين يطبقون مقتضيات البغض دون نظر في تغير الأزمنة والأحوال.

المهم هنا: أن المؤلف ختم كلامه بنتيجة مهمة، وهي فائدة ترك الشرك: تصحيح التوحيد، وهذه هي نتيجة ما سبق تعليمه للمتعلم.

فلو قيل: ما فائدة الدراسة والمذاكرة؟ قيل: النجاح والتخرج.

كذلك لو قيل: ما فائدة ترك الشرك بكل صوره؟ قيل: هو تحقيق التوحيد الموصل إلىٰ رضوان الله وجنته.

۞ عاشراً: التضرع لله تعالى:

ختم المؤلف هذه الرسالة الموجزة بأهمية تنبيه المتعلم علىٰ عدة أمور فقال:

وَمِنْ أَعْظَمِ مَا تُنَبِّهُهُ عَلَيهِ التَّضرعَ عِندَ اللهِ، وَالنَّصِيحَةَ، وَإِحْضَارَ القَلْبِ فِي دُعَاءِ الفَاتِحَةِ إِذَا صَلَّىٰ، والله أعلم.

ذكر الشيخ حاجة المتعلم إلىٰ ثلاثة أمور.

أولها: التضرع عند الله، يعني: أنك إذا علَّمته العلم النافع له، وهو التوحيد الصحيح وما يقتضيه من ترك الشرك، فاعلم أنك بحاجة ماسة

إلىٰ التعلق بالله تعالىٰ، والانطراح بين يديه؛ أن يدلك ويعينك ويرشدك ويثبتك؛ لأن الزائغين عن هذا كثير، والشبه كثيرة، والفتن خطافة، ولا معين لك إلا الله.

وهذا التنبيه من المصنف ﵀؛ لأهمية تعلق العبد بربه سبحانه، كي يعرف أنه لا يملك حولاً ولا طولاً.

وإذا جئنا للنظر في أحوال المعلمين والمتعلمين وجدنا أن القليل من المعلمين من يربط طلابه بالله تعالىٰ ، والكثير منهم يخوفهم من العقوبة الدنيوية والرسوب ونحو ذلك.

لكن المعلم الحق والداعي إلىٰ الله هو الذي يربط المتعلم والمتلقي بالله تعالىٰ، والحقيقة أننا أحوج ما نكون اليوم لذلك حتىٰ في خاصة أنفسنا، أن نذكر أنفسنا وأبناءنا وطلابنا ومن تحت ولايتنا وتوجيهنا بأهمية التضرع إلىٰ الله تعالىٰ أن يعصمنا من الفتن وأن يقينا من الزلل، وأن يحفظ علينا ديننا.

۞ حادي عشر: النصيحة:

الأمر الثاني الذي أكد عليه الشيخ في ختام رسالته: هو النصيحة، يعني: أنك قد تعلمت هذا العلم، وعرفت العقيدة الصحيحة، فأول واجب عليك هو نصيحة غيرك، والنصيحة لها معانٍ كثيرة، من الإرشاد والتوجيه، والتنبيه علىٰ الخطأ، وكل هذه المعاني محتملة.

ثاني عشر: إحضار القلب في الفاتحة:

أما **الأمر الثالث** الذي أكد عليه المؤلف فهو: (إحضار القلب في دعاء الفاتحة إذا صلىٰ)، وهو أن يكون حاضر القلب مع نطقه بلسانه، فلا يغيب ذهنه، بل يكون نطقه للذكر والدعاء موافقاً لقلبه، لكي تكون صلاته بحضور قلب، ويعلم قلبه ما نطق به لسانه؛ لأن ما نطق به اللسان ولم يعقد عليه القلب ليس بعمل صالح، كما قال تعالىٰ: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ (الفتح: ١١).

*** معنىٰ دعاء الفاتحة:**

لكن ما معنىٰ دعاء الفاتحة إذا صلىٰ، الحقيقة أن هذا يحتمل معنيين، وكلاهما صحيح:

المعنىٰ الأول: هو ما ورد في سورة الفاتحة من سؤال الله الهداية وذلك في قوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (الفاتحة: ٦).

وقد قال الشيخ في تفسير الفاتحة[1]: قوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (الفاتحة: ٦) هذا هو الدعاء الصريح الذي هو حظ العبد من الله، وهو التضرع إليه والإلحاح عليه أن يرزقه هذا الطلب العظيم، الذي لم يعط أحد في الدنيا والآخرة أفضل منه، كما مَنَّ الله علىٰ رسوله ﷺ بعد الفتح بقوله: ﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ (الفتح: ٢)، والهداية هاهنا: التوفيق والإرشاد.

---

(١) (١٣/ ٧٠).

وليتأمل العبد ضرورته إلىٰ هذه المسألة، فإن الهداية إلىٰ ذلك تتضمن العلم، والعمل الصالح، علىٰ وجه الاستقامة والكمال، والثبات علىٰ ذلك إلىٰ أن يلقىٰ الله. اهـ.

والمعنىٰ الثاني: أن المقصود هو دعاء استفتاح الصلاة؛ لأن الشيخ أكدَّ عليه في مواضع أخرىٰ من رسائله، حيث قال في رسالة له لأحد علماء الأحساء[1]: بعد أن بيَّن له كثيراً من المسائل قال: إن أصغىٰ إليه قلبك بعض الإصغاء، - يعني ما ذكرته لك من التوجيهات - فعليك بكثرة التضرع إلىٰ الله، والانطراح بين يديه، خصوصـًا أوقات الإجابة، كآخر الليل، وأدبار الصلاة، وبعد الأذان.

وكذلك بالأدعية المأثورة، خصوصـًا الذي ورد في الصحيح، أنه ﷺ كان يقول في دعاء الاستفتاح في قيام الليل: (اللهم رب جبرائيل، وميكائيل، وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلىٰ صراط مستقيم)، فعليك بالإلحاح بهذا الدعاء، بين يدي من يجيب المضطر إذا دعاه، وبالذي هدىٰ إبراهيم لمخالفة الناس كلهم، وقل: يا معلم إبراهيم علمني. اهـ.

---

(١) (١/ ٤٢).

وكلا الموضعين حقيقان بالتضرع وإحضار القلب من القارئ والداعي بهما، وما أمكن حمل كلام المؤلف عليه، فيصح حمله إذا لم يكن هناك مرجح.

*** الختم بقول (والله أعلم):**

ثم ختم المؤلف كلامه بقول: والله أعلم، وهذا هو الواجب على كل مسلمٍ أن يَكِل العلم كله في مبتدأه ومنتهاه إلى الله ﷻ؛ لأن كل ما عندي من علم، فالله أعلم به، وهو سبحانه أعلم بكل شيء.

ونحن أيضًا نقول: والله ﷻ أعلم.

۞ الفوائد المسلكية والتربوية من الرسالة:

يحسن بنا في ختم هذا الشرح لهذه الرسالة الماتعة من الشيخ محمد بن عبدالوهاب ؒ، أن أذكر عدداً من الفوائد التي يمكن استنباطها من هذه الرسالة في التربية والسلوك، وقد بلغت خمس عشرة فائدة، ويمكن استنباط أكثر من ذلك، وهذا مسردها:

الأولى: أن الشيخ ؒ، صاغ هذه الرسالة بعناية فائقة، اختار ألفاظها ومعانيها، بل يصح القول بأنه اختار حتى بعض الحروف التي استخدمها في هذه الرسالة لمقصد ومعنى.

الثانية: أن أفضل طريقة لفهم كلام المؤلف هي الرجوع إلى مؤلفاته الأخرى، ولذلك هنا وجدنا عدداً من الكلمات لم نفهمها

علىٰ وجهها الكامل إلا بالرجوع إلىٰ كلام الشيخ في كتبه الأخرىٰ، كمثل قصده بالمعلم، وقصده بالبدوي، ومعنىٰ تعليم أصول الدين.

الثالثة: تُمثِّل الرسالة مسلكـًا تربويـًا للشيخ ﵀، في تهيئته الدعاة والطلاب وتعليمهم ماذا يعلمون الناس، وكيف يدعون إلىٰ الله.

الرابعة: سير الشيخ ﵀ علىٰ المنهج النبوي في التدرج في إيصال المعلومة إلىٰ المتلقي شيئـًا فشيئـًا.

الخامسة: معرفة وفهم الشيخ ﵀، لنوعية المتلقين، حيث قسمهم إلىٰ ثلاثة أنواع، لن يخرجون عنها.

السادسة: تأكيد الشيخ علىٰ أن منزلة القرآن منزلة عالية، وأن قارئ القرآن ينتقل بذلك إلىٰ الفئة الأولىٰ من فئات المتلقين، مما يؤكد علىٰ أن تلقين القرآن للعامة يكون في مقدمة اهتمام المعلم والداعي إلىٰ الله.

السابعة: مراعاة أفهام المتلقين، وأن يكون الإقناع بالأسلوب المناسب لكل حالة، حسب قوة فهمها.

الثامنة: التأكيد علىٰ أن يستفيد المعلم والداعي إلىٰ الله من المهارات والخبرات والمعلومات الموجودة لدىٰ المتعلم، وأن تكون منطلَقه في دعوته لأي شخص.

التاسعة: أهمية ربط المتعلم والمتلقي بالله ﷻ.

العاشرة: الاهتمام بالذكاء لدىٰ المتعلم ومراعاة الفروق بين المتلقين، بحسب قوة ذكائهم المثمرة لقوة الفهم أو ضعفه.

الحادية عشرة: أن أهم ما ينبغي أن يصرف إليه المعلم جهدَه في بداية تعليمه للناس هو تصحيح التوحيد، وأنه بتصحيح التوحيد يزول الشرك.

الثانية عشرة: أن تعليم سورة الفاتحة كافٍ في إيضاح أمور العقيدة والالتجاء إلىٰ الله تعالىٰ، لضعيف الفهم أو حديث العهد بالدين الصحيح.

الثالثة عشرة: التأكيد علىٰ حاجة المعلم والمتعلم إلىٰ اللجوء إلىٰ الله والانطراح بين يديه وطلبه العون والتوفيق.

الرابعة عشرة: أن تعلم العلم لا يكفي دون أن يعمل به صاحبه بما تعلمه الشخص، ومثاله الإقرار بالتوحيد لا يكفي إذا لم يوالي ويعادي عليه ويحب ويبغض لأجله فمن لم يعمل بما علم لن يحصل علىٰ الجزاء الأخروي.

الخامسة عشرة: التأكيد علىٰ عدم تساهل المعلم والداعية في شأن الدعوة إلىٰ التوحيد وخطورة التساهل في أمره وما يؤدي التساهل فيه إلىٰ الخروج عن الدين.

هذا ما يسر الله جمعه من مسائل، وقد يجد المتأمل غيرها،

والأفهام تختلف، والله يفتح على من شاء من عباده.

اللهم اغفر للشيخ محمد بن عبدالوهاب واجزه خيراً على ما بَيَّنَ وأوضح، واغفر لمشايخنا وعلمائنا الذين بذلوا لنا وقتهم وصبروا على تعليمنا، واجزهم بما أنت أهله، أنت أهل التقوى وأهل المغفرة، يا حي يا قيوم، اللهم اغفر لنا زللنا وخطلنا، اللهم اكتبنا من خيرة عبادك وصفوة أوليائك، سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك، والحمد لله رب العالمين.



فهرس الموضوعات...

المحتوى	الصفحة

المحتوى	الصفحة

بحمد الله تم

❋ ❋ ❋